مــــــــرقس
رسالة الفكر المسيحي للشباب والخدّام
يونيو ٢٠٢٢

أيقونة الصعود

أيقونة روسية من القرن السادس عشر محفوظة في مدينة بسكوف Pskov بروسيا
يلاحظ فيها أن الأجسام أطول مما يكون في الطبيعة وكأنها صارت مشدودة إلى فوق
بحسب وعد الرب «**وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليَّ الجميع**» (يو١٢: ٣٢).
ويظهر فيها الملاكان القائلان للرسل: «أَيُّهَا الرِّجَالُ الْجَلِيلِيُّونَ، مَا بَالُكُمْ وَاقِفِينَ تَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ؟ إِنَّ يَسُوعَ هذَا الَّذِي ارْتَفَعَ عَنْكُمْ إِلَى السَّمَاءِ سَيَأْتِي هكَذَا كَمَا رَأَيْتُمُوهُ مُنْطَلِقًا إِلَى السَّمَاءِ» (أع١: ١١).

ST. MARK
June 2022
Monthly Review

Pentecost

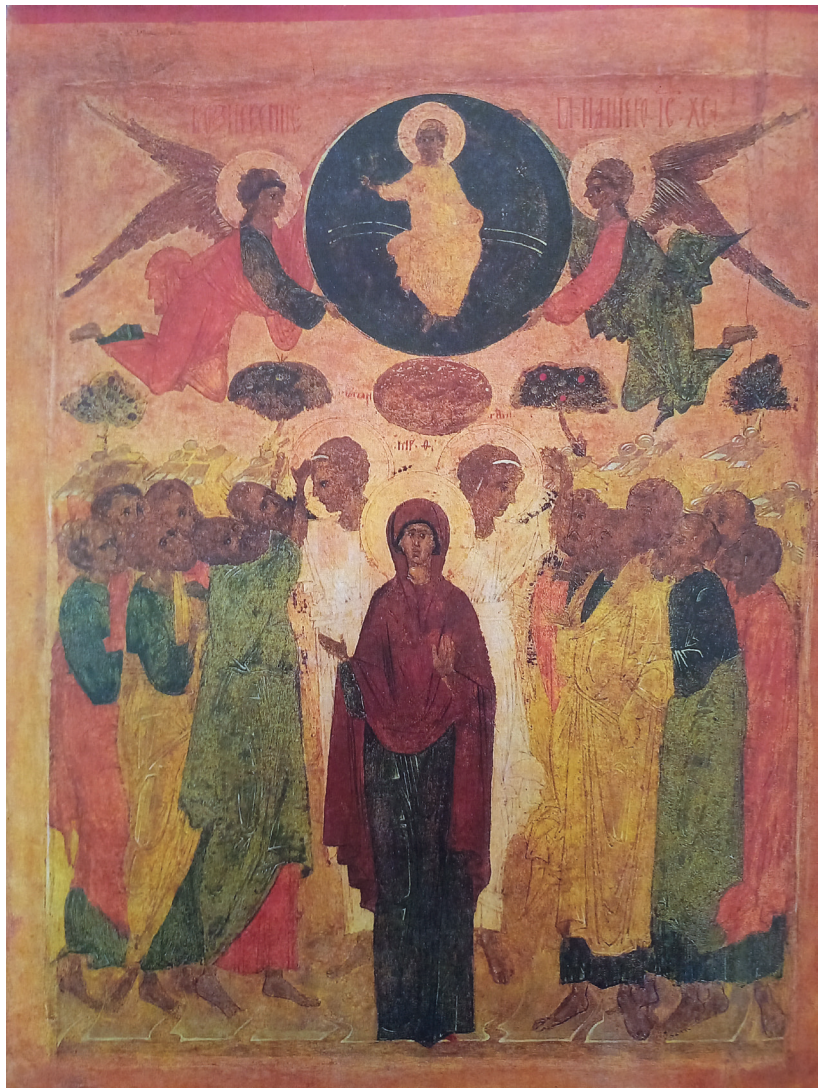

The Descent of the Holy Spirit in a contemporary Coptic icon.
The Holy Virgin Mary and St. Peter to her right
embrace their hearts in a prayerful manner.
While, on her left, St. John appears in a spirit of ecstasy
with his hands pointing toward the eternal world.
The atmosphere reflects their inner calmness and peace,
which is characteristic of the Holy Spirit, as the Lord said:
“Stay here (litt. Sit down καθίσατε) in the city (of Jerusalem)
until you have been clothed with power from on high” (Lk. 24:49 NRSV).

مرقس

رسالة الفكر المسيحي للشباب والخُدَّام

السنة ٦٦ يونيو ٢٠٢٢م.

العدد ٦٣٥ بشنس / بؤونة ١٧٣٨ش.

المحتويات

الافتتاحية: كلمة قداسة البابا تواضروس الثاني:

فيض الحب ١

مقال للأب متى المسكين

حلول الروح القدس في يوم الخمسين ٧

ذكر الصدِّيق للبركة :

الأحزان المُفرحة ١٠

بمناسبة عيد الصعود: عظة للقديس أغسطينوس

سر صعود الرب ١٤

الإينرجيا الإلهية (٢) ١٧

الإفخارستيا سر الوحدة (٢) ٢٤

من التراث الكنسي: مرتبطين معًا (٩) ٣٣

ادخل إلى العمق (٢٤):

الطريق والرفيق ٤٠

من القيامة إلى الصعود إلى يوم الخمسين:

المسيح باكورة، ثم الذين للمسيح ٤٥

مقال بالإنجليزية:

كلمة ترحيب ٥٢

من تعليم آباء الكنيسة

للقديس أنبا مقار الكبير

النار الإلهية التي ننالها من المسيح

(ترجمة النص اليوناني الآبائي المنشور في باطن الغلاف الأخير)

❁✞❁

[كما أنَّه من النَّار تُشعَل سُرُجٌ كثيرة ومصابيحُ متَّقِدة،

لكنْ كلُّ المصابيح والسُّرُج تُضرَم وتضيء من طبيعةٍ واحدة؛

هكذا المسيحيُّون أيضًا يُضرَمون ويضيئون من طبيعةٍ واحدة،

من النَّار الإلهيَّة، نار ابن الله،

ويقتنون المصابيح المتَّقدة في قلوبهم

ويضيئون أمامه وهم على الأرض كما هو أيضًا،

فإنَّه يقول: «لِأَجْلِ هَذَا مَسَحَكَ اللهُ إِلَهُكَ بِزَيْتِ الابْتِهَاجِ»[1]

لذلك فقد دُعِي هو "المسيح"،

لكي إذا ما مُسِحْنا بالزَّيت نفسِه كما مُسِحَ هو،

نصير نحن أيضًا مُسَحاء،

من ذات طبيعته الواحدة - إنْ جاز القول – وجسده الواحد،

لأنَّه يقول أيضًا: «الْمُقَدِّسُ وَالْمُقَدَّسُونَ جَمِيعُهُمْ مِنْ وَاحِدٍ»[1].

فالمسيحيُّون إذًا يشبهون، من أحد الوجوه،

سُرُجًا لها زَيتٌ في ذواتها، الذي هو ثمر البرّ،

لكنْ ما لم تُشعَل من سراج اللَّاهوت فيها، فليست هي بشيء؛

والرَّبُّ كان السِّراجَ الموقَد بروح اللَّاهوت

الحالّ فيه جوهريًّا والمُضرِم قلبَه من جهة ناسوته].

عظة ٤٣: ١ - ٢

---

(١) مز ٤٤: ٨ س؛ عب ١: ٩ (٢) عب ٢: ١١

****

عطلة المجلة: شهرا يوليو وأغسطس ٢٠٢٢م

****

مرقس: يصدرها ديـر القديس أنبا مقار ــ برية شيهيت

مكتب التوزيع والاشتراكات

القاهرة: ٢٨ شارع شبرا

تليفون: ٢٥٧٧٠٦١٤

و ٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤ و ٠١٠٢٣٨٢١٣٨١

الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك

تليفون: ٠٣٤٩٥٢٧٤٠

مطبعة دير القديس أنبا مقار

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢١٧ / ٢٠٢٢

الترقيم الدولي: ISSN 2805-2382

عنوان البريد الإلكتروني:

stmarkcare@gmail.com

رئيس التحرير: الأب سرجيوس المقاري

عنوان المراسلات: ص. ب ٣١ شبرا - القاهرة

تسديد الاشتراكات: بحوالة بريدية باسم:

مجلة مرقس على مكتب بريد شبرا

على عنوان: ص. ب ٣١ شبرا ــ القاهرة

أو على حساب شيكات بريدية رقم:

٠١٣٣١٠٠٠٣٠٨٥٨١٨

ويُحظر إرسال أية نقود داخل المظروف بالبريد

وتبدأ سنة الاشتراك في يناير من كل عام

تصفَّح مجلة مرقس في موقع الدير على الإنترنت:

www.stmacariusmonastery.org

ثمن النسخة عشرة جنيهات

الاشتراك السنوي: حرٌّ ... حدُّه الأدنى:

١٢٠ جنيهًا: داخل مصر

٤٠٠ جنيهًا: في البلاد العربية

١٠٠ دولاراً أمريكيًا: في البلاد الأخرى

يُسدد بموجب شيك يحرَّر باسم:

St. Mark, *Monthly Review*

(والمجلة تقبل مع الشكر أي اشتراك تعضيدي يزيد عن هذا الحد الأدنى).

■ **غير مسموح بإعادة نشر مقالات مجلة مرقس بدون إذن كتابي من إدارة المجلة.**

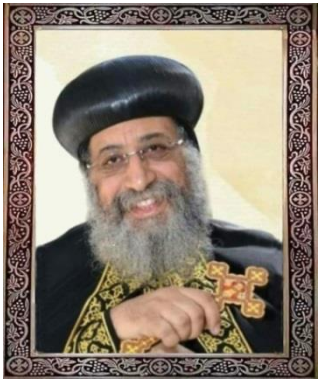

الافتتاحية

فيض الحب

لصاحب القداسة

البابا تواضروس الثاني

"مَنْ يترحَّم على إنسان، يصير باب الرب مفتوحًا لطلباته في كل ساعة" (الشيخ الروحاني)

«وَمَتَى جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعُ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ مَعَهُ، فَحِينَئِذٍ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ. وَيَجْتَمِعُ أَمَامَهُ جَمِيعُ الشُّعُوبِ، فَيُمَيِّزُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ كَمَا يُمَيِّزُ الرَّاعِي الْخِرَافَ مِنَ الْجِدَاءِ، فَيُقِيمُ الْخِرَافَ عَنْ يَمِينِهِ وَالْجِدَاءَ عَنِ الْيَسَارِ. ثُمَّ يَقُولُ الْمَلِكُ لِلَّذِينَ عَنْ يَمِينِهِ: تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي، رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ. لأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي. عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي. كُنْتُ غَرِيبًا فَآوَيْتُمُونِي. عُرْيَانًا فَكَسَوْتُمُونِي. مَرِيضًا فَزُرْتُمُونِي. مَحْبُوسًا فَأَتَيْتُمْ إِلَيَّ. فَيُجِيبُهُ الأَبْرَارُ حِينَئِذٍ قَائِلِينَ: يَا رَبُّ، مَتَى رَأَيْنَاكَ جَائِعًا فَأَطْعَمْنَاكَ، أَوْ عَطْشَانًا فَسَقَيْنَاكَ؟ وَمَتَى رَأَيْنَاكَ غَرِيبًا فَآوَيْنَاكَ، أَوْ عُرْيَانًا فَكَسَوْنَاكَ؟ وَمَتَى رَأَيْنَاكَ مَرِيضًا أَوْ مَحْبُوسًا فَأَتَيْنَا إِلَيْكَ؟ فَيُجِيبُ الْمَلِكُ وَيَقُولُ لَهُمْ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمْ» (مت ٢٥: ٣١ – ٤٠).

المسيحية والعطاء وجهان لعُملة واحدة، كلاهما حاضر بحضور الآخر في أعماقه.

وبصفة عامة فإن حياة العطاء مطوَّبة حسب قول الكتاب: «مَغْبُوطٌ هُوَ الْعَطَاءُ أَكْثَرُ مِنَ الأَخْذِ» (أع ٢٠: ٣٥).

في البداية دعنا نرى معنى فيض الحب:

١. الإنسان بحاجة إلى أن يعطي:

إذ يحقِّق هذا وجوده وكيانه ويُشعره بقيمته وآدميته، وهذا الشعور هو إحدى مكونات الشخصية الناجحة، حتى أن علماء النفس كثيرًا ما يذكرون أن العطاء مصحوب براحة قلبية.

لذلك عندما يُعطي أب ابنه الصغير مالًا لكي ما يضعه الصغير في صندوق العطاء، فإنه يزرع هذه الفضيلة فيه منذ الصغر، بل وينمِّي شخصيته. وكذلك الأب الذي يساعد أولاده لكي ما يقدِّموا هدية لوالدتهم أو صديق لهم في أي مناسبة فإنه ينمِّي داخلهم هذه الفكرة ويشبع هذه الحاجة.

٢. الله ليس محتاجًا على الإطلاق لما نُعطيه:

مهما كان ومهما ارتفعت قيمته المادية أو المعنوية، والسبب أن الله هو مصدر كل عطية ... فهو الخالق والواجد لهذا العالم، ويعقوب الرسول يُذكِّرنا:

«كُلُّ عَطِيَّةٍ صَالِحَةٍ وَكُلُّ مَوْهِبَةٍ تَامَّةٍ هِيَ مِنْ فَوْقُ، نَازِلَةٌ مِنْ عِنْدِ أَبِي الأَنْوَارِ، الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ تَغْيِيرٌ وَلَا ظِلُّ دَوَرَانٍ» (يع ١: ١٧).

فكلما يحبك المسيح أظهر محبتك له بفيض ووفرة.

٣. العطاء وسيلة للتعبير عن مشاعرك نحو الله:

تأمل معي في قصة السامرية حين قابلها رب المجد وقال لها: «**أَعْطِينِي لأَشْرَبَ**» (يو ٤: ٧)، فهو له المجد لم يكن محتاجًا للماء، لأن من عنده تجري كل الأنهار، وإنما كان في حاجة أن يعرف حقيقة مشاعرها الداخلية نحوه.

وفضيلة العطاء أو الصدقة تُشكِّل إحدى ركائز الحياة الروحية (صوم + صلاة + صدقة)، والمعروف أن كلمة "صدقة" وكلمة "صِدِّيق" من أصل لغوي واحد، فكأن الصِدِّيق هو الذي يصنع الصدقة.

وعندما قال سليمان الحكيم: «**اذْكُرْ خَالِقَكَ فِي أَيَّامِ شَبَابِكَ**» (جا ١٢: ١)، إنما كان يتحدَّث بلغة العطاء، لأنه معروف أن حياة الإنسان تنقسم إلى مراحل متتابعة: (الطفولة – النضج/الرجولة – الشيخوخة) ... المرحلتان الأولى والثالثة هما مرحلتان

أخذ، أمَّا المرحلة الثانية وتحوي في داخلها مرحلة الشباب إنما هي مرحلة عطاء بالدرجة الأولى ...

وأنت يا صديقي تستطيع أن تعطي في فترة شبابك ورجولتك أكثر من أي مرحلة أخرى.

لك أن تسألني الآن ماذا أعطي؟ هل مالًا ... أم وقتًا ... أم ماذا ...؟

إني أجيبك: إن ما تستطيع أن تقدِّمه لا يمكن حصره، إنما تستطيع أن تتخيَّل معي سلمًا عليه خمس درجات في ترتيب تصاعدي تمثل درجات العطاء.

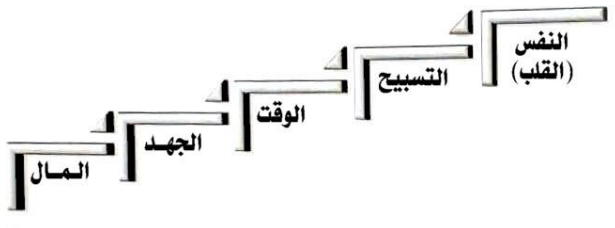

بل ويمكن أن تمزج بين هذه الدرجات الخمس، فالصلاة هي عطاء وقت وقلب وتسبيح ... وفي خدمة الآخرين يكمُن عطاء المال والوقت والجهد والحب، وهكذا ...

وهنا لا يمكننا أن ننسى أن قمة العطاء الذي بلا حدود هو في تجسُّد ربنا يسوع فهو الذي أعطانا دمه الثمين على عود الصليب، وها هو كل يوم يقدِّم نفسه ذبيحة لأجلنا من خلال القداس الإلهي.

وإليك هذه القصة:

بالرغم من الطقس البارد والثلج المتساقط، كان يجلس هذا الصبي، خارج منزله الحقير، ولم يرتدِ في رجليه سوى حذاءً رقيقًا، لا يصلح حتى لأيام الصيف. لقد كان يحاول بأقصى جُهده ليفكِّر عمَّا يقدر أن يقدِّمه لأُمه بمناسبة عيد الميلاد، لكن من غير نتيجة، فقد حاول كثيرًا. حتى لو استطاع أن يفكر في شيء ما، فليس بحوزته شيء من المال، فمنذ وفاة والده، وهم يعيشون في حالة فقر دائم، فكانت والدته تعمل بأقصى جهدها لأجل أولادها الخمسة. فلم يكن لها إلَّا دخلٌ ضئيلٌ، لكن تلك الأم بالرغم من فقرها، كانت تحب أولادها محبة بلا نهاية.

كان هذا الصبي حزينًا للغاية، فلقد استطاع إخوته الثلاثة، إعداد هدية لأمه، أمَّا هو

وأخيه الصغير، فلم يستطيعا شراء أي شيء، واليوم هو آخر يوم قبل عيد الميلاد. مسح هذا الصبي دموعه، ثم أخذ يسير باتجاه المدينة، ليلقي نظرة أخيرة على الأماكن المزيَّنة والمحلات المليئة بالهدايا والألعاب. كان ينظر من خلال الواجهات، إلى كل ما في الداخل، وعيناه تبرقان، كان كل شيء جميلًا للغاية، لكن لم يكن بمتناوله عمل أي شيء.

بَدَت الشمس تعلن عن مغيبها، فهَمَّ هذا الصبي بالعودة إلى المنزل، وهو يسير حزينًا مُنكَّس الرأس ... وفجأة إذ به يرى شيئًا يلمع على الأرض، اندفع هذا الصبي مسرعًا، وإذ به يلتقط ١٠ قروش من على الأرض ... ملأ الفرح قلبه، وإذ به يشعر وكأنه ملك كنزًا عظيمًا، ولم يعد يبالي بالبرد، إذ كان في حوزته عشرة قروش ...

دخل أحد المحلات، علَّه يستطيع شراء شيء ما، لكن يا لخيبة الأمل، فقد أعلمه البائع، بأنه لن يستطيع شراء أي شيء بـ ١٠ قروش، دخل هذا الصبي محلًا آخر لبيع الورود، كان هناك العديد من الزبائن، فانتظر دوره ... بعد بضع دقائق، سأله البائع عمَّا يريد ... قدَّم هذا الصبي إلى البائع الـ ١٠ قروش التي في حوزته، ثم سأل إن كان بإمكانه شراء وردة واحدة لأمه بمناسبة عيد الميلاد. نظر صاحب المحل إلى هذا الولد الصغير مليًّا، ثم أجابه: انتظرني قليلًا ... سأرى عمَّا باستطاعتي عمله ... دخل البائع إلى الغرفة الداخلية، ثم بعد قليل عاد وهو يحمل في يديه اثنتي عشرة وردة حمراء، لم يَرَ هذا الصبي نظيرها في الجمال من قبل، ثم أخذ صاحب المحل، يضع بجانبها الزينة وغيرها، ثم وضعها بكل عناية في علبة بيضاء، وقدَّمها إلى ذلك الصبي، وقال: ١٠ قروش من فضلك أيها الشاب. هل يُعقَل ما يسمع؟ لقد قال له البائع السابق ... لن تستطيع شراء أي شيء بـ ١٠ قروش ... فهل يُعقَل ما يسمعه؟ ... شعر البائع بتردد الولد فقال له: أنت تريد أن تشتري ورود بـ ١٠ قروش، أليس كذلك؟ فإليك هذه الورود بـ ١٠ قروش، فهل تريدها ... بكل سرور أجاب الولد، معطيًّا كل ما لديه للبائع ... فتح البائع الباب للصبي، ثم ودَّعه قائلًا: عيد ميلاد سعيد يا ابني ...

عاد البائع إلى منزله، وأخبر زوجته بالأمر العجيب الذي حصل معه في ذلك اليوم، فقال لها: في هذا اليوم وبينما أُحضِّر الورود ... جاءني صوت يقول:

اختر ١٢ وردة حمراء من أفضل الورود التي لديك، وضعها جانبًا ... لهدية خاصة ... لم أدرِ

معنى هذا الصوت، لكني شعرت بأنه ينبغي عليَّ أن أطيعه، وقبل أن أغلق المحل، جاءني صبي صغير تبدو عليه علامات الفقر والعوز، راغبًا أن يشتري لأمه وردة واحدة، ومقدِّمًا لي كل ما يملك ١٠ قروش ... وأنا إذ نظرت إليه، ذكَّرتُ نفسي، كيف عندما كنت في سنه، كيف لم أملك أي شيء لأُقدِّم لأمي في عيد الميلاد، وذات مرة صنع معي إنسانٌ لم أعرفه من قبل معروفًا ... لم أنسه إلى هذا اليوم ... امتلأت عينا الرجل وزوجته بالدموع، ونظرا إلى بعض، وشكرا الله.

ومن هذه القصة نرى كيف يكون العطاء:

١ – بالمحبة:

أترى كيف كان حب هذا الولد لأمه ... لا بد أن تكون المحبة هي الدافع الأول وراء صِدق المشاعر التي نُقدِّم بها عبادتنا وعطايانا لله وللآخرين، وكما قال سفر النشيد: «**إِنْ أَعْطَى الإِنْسَانُ كُلَّ ثَرْوَةِ بَيْتِهِ بَدَلَ الْمَحَبَّةِ، تُحْتَقَرُ احْتِقَارًا**» (نش ٨: ٧).

فأنت لا تقدِّم مدفوعًا بشعور الواجب أو الخجل أو الاضطرار، ولا حبًّا في الكرامة والتقدير، أو طلبًا للإعلان أو المديح ... إنما من قلب فيَّاض بالمحبة.

٢ – بسخاء:

طلب الولد الصغير وردة واحدة قيمتها عشرة قروش، فأعطاه البائع اثنتي عشرة وردة من أجمل ما يكون ... هذا هو العطاء الحقيقي بدون حساب للماديات، لأن الله ينظر ويعرف والكتاب يقول: «**الْمُعْطِي فَبِسَخَاءٍ**» (رو ١٢: ٨). لأننا بذلك نتمثَّل بـ «**اللهِ الَّذِي يُعْطِي الْجَمِيعَ بِسَخَاءٍ وَلَا يُعَيِّرُ**» (يع ١: ٥). والعطاء هذا كالزرع «**مَنْ يَزْرَعُ بِالشُّحِّ فَبِالشُّحِّ أَيْضًا يَحْصُدُ**» (٢كو ٩: ٦). ولذلك نسميه فيض الحب.

٣ – بفرح وسرور:

أترى كيف كان الولد الصغير والبائع سعيدَين بعطائهما ... يقول الكتاب المقدَّس: «**الْمُعْطِيَ الْمَسْرُورَ يُحِبُّهُ اللهُ**» (٢كو ٩: ٧). والوصية تقول: «**مَنْ سَخَّرَكَ مِيلًا وَاحِدًا فَاذْهَبْ مَعَهُ اثْنَيْنِ**» (مت ٥: ٤١). (والمقصود بالميل الثاني أنك ذهبت راضيًا حرًّا).

كلما أعطيت، كلما نِلت فرحًا وسرورًا وسلامًا.

ولكن عندما تُعطي احرص أن يكون:

(١) أفضل ما عندك:

إن العطاء هو مشاعر قبل أي شيء ومشاعرنا نُعبِّر عنها بأفضل ما عندنا. إن هابيل الصدِّيق قدَّم أفضل ما عنده من الذبائح، بينما أخوه قايين اختار تقدمة من ثمار الأرض دون أن يدقِّق فيها (تك ٤: ٤ – ٥) إن هذا المبدأ ينطبق في حياتنا العملية بأمثلة كثيرة منها:

- ✦ اختيار الوقت الأفضل المناسب للصلاة كالصباح الباكر ... أفضل وقت.
- ✦ اختيار الذهن النشط المناسب لقراءة الكتاب المقدَّس ... أفضل تركيز.
- ✦ تقديم النقود في حالة جيدة، وليس القديم أو المُستهلَك ... أفضل صورة.
- ✦ تقديم التسابيح والألحان بأفضل ما عندنا من أنغام وأصوات ... أفضل نغم.

(٢) أن تكون في الخفاء:

وليس هناك أبلغ من قول الكتاب: «**لَا تُعَرِّفْ شِمَالَكَ مَا تَفْعَلُ يَمِينُكَ**» (مت ٦: ٣)، ويعتبر هذا مبدأ مشترك في كل أركان العبادة ... أمَّا إن كان العطاء طلبًا للدعاية أو لنوال مركز أو لمدح الذات، فإنه يفقد قيمته بل ويصير دينونة.

(٣) أن تكون ذا نفع لمَنْ تُعطَى له:

فليست العبرة أن تعطي وحسب، إنما حسب احتياج الآخرين لهذا العطاء.

لا تنسَ هذه الوصية كما توضِّحها الآيات التالية:

- ✦ «لأَنَّ مِنْكَ الْجَمِيعَ وَمِنْ يَدِكَ أَعْطَيْنَاكَ» (١أي ٢٩: ١٤).
- ✦ «مَنْ يَرْحَمُ الْفَقِيرَ يُقْرِضُ الرَّبَّ، وَعَنْ مَعْرُوفِهِ يُجَازِيهِ» (أم ١٩: ١٧).
- ✦ «هَاتُوا جَمِيعَ الْعُشُورِ ... وَجَرِّبُونِي» (ملا ٣: ١٠).
- ✦ «أَعْطُوا تُعْطَوْا» (لو ٦: ٣٨).
- ✦ «لِيُعْطِكَ (الرب) حَسَبَ قَلْبِكَ» (مز ٢٠: ٤).
- ✦ تدريب: اقرأ بتأمل المزمور ٤١.

البابا تواضروس الثاني

مقال للأب متى المسكين

حلول الروح القدس
في يوم الخمسين[١]

للأب متى المسكين

٣:٢ «وظهَرَتْ لهم ألسنةٌ مُنقسِمةٌ كأنَّها من نارٍ واستقرَّتْ على كلّ واحدٍ منهم».

هذه هي الآية σημεῖον الثانية. إذًا، فقد اكتملت مظاهر الروح القدس، الريح والنار، فإن كان الريح يكشف عن طبيعة الاختفاء المنبثَّة في الروح القدس: «الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها، **لكنك لا تعلم** من أين تأتي ولا إلى أين تذهب. هكذا كل مَنْ وُلِدَ من الروح» (يو ٣: ٨)، فهنا سماع الصوت الشديد الذي يعبِّر عن حلول الروح لأداء مهمَّته الخطيرة، ثم ظهور النار ليكشف عن طبيعة الروح وطبيعة الأداء الذي سيؤديه الروح كروح إحراق وتطهير: «جئت لألقي نارًا على الأرض، فماذا أريد لو اضطرمت» (لو ١٢: ٤٩). وهذان معًا يدخلان ليكمِّلا الصورة والموضوع الذي سبق الرب وأعلن عنه لتلاميذه أنهم سيعمَّدون **بالروح القدس** وحسب قول المعمدان: «هو سيعمِّدكم بالروح القدس **ونار**» (لو ٣: ١٦). وهو لم يقل "ألسنة من نار" بل «كأنها من نار γλῶσσαι ὡσεὶ πυρός»، فهي تحمل شكل النار وليس فعلها الطبيعي الحارق، «إلهنا نار آكلة» (عب ١٢: ٢٩)، تأكل الخطية وتأكل كل ما ينحاز ضد الله أو برِّه أو قداسته أو عدله فلا يوجد، وذلك لحساب طبيعته البارة القدوسة العادلة. ففعل نار الله إيجابي، هو يحرق السالب ليزداد الإيجابي ليزداد البر والقداسة والحق والعدل.

وحينما يقول: «استقرت على كل واحد منهم» (من الاثني عشر) فهذا يعني أن الروح الناري ارتاح في كيانهم الرسولي ليحوِّله إلى كيان قدسي «إنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم» (١كو ٣: ١٦)، يعمل فيهم ويعمل بهم بآن واحد! لأنه قال بعد ذلك إنه لم يدخل فيهم بل ملأ كل واحد فيهم!! والملء بالروح هو احتلال الروح لكل

---

(١) من كتاب: "شرح سفر أعمال الرسل"، الطبعة الأولى: ١٩٩٥، من ص ١٥٨ – ١٦٠.

الكيان ليصير كيان الإنسان كيانًا لله، جسدًا للمسيح!! الملء هو اتحاد: كيان بكيان. ومن هنا جاء التكلُّم بالألسن، فهو نُطق جسدي وروحي بآن واحد، فعل بشري إلهي بآن واحد، معجزة على المستوى البشري والإلهي بآن واحد.

بهذا يكون التلاميذ قد جازوا التعميد والتطهير والتقديس بواسطة الرب الحاضر غير المنظور وبروحه القدوس.

إذًا، فقد وُلدت الكنيسة في أشخاص الاثني عشر! كيانًا إلهيًّا واحدًا، جسدًا واحدًا بأعضاء. فكما **حل الروح** القدس على **العذراء** وظلَّلتها **قوة العلي** حتى أن القدوس **المولود** منها دُعي **ابن الله الوحيد،** هكذا خطب المسيح لنفسه **عذراء** عفيفة بحسب تعبير القديس بولس (٢كو ١١: ٢) **وحلّ عليها بروحه** القدوس وأعطاها **قوة من الأعالي،** والمولود منها هو **شعبه المقدَّس والمفدي،** كنيسته الجامعة الرسولية، كنيسة الله الحي. وكما لمَّا تعمَّد المسيح في النهر حلَّ الروح القدس واستقرَّ عليه بهيئة مجسَّمة مثل حمامة تعبيرًا عن عمل ووظيفة حمامة نوح بشير السلام على العالم بعد الطوفان، هكذا تعمَّدت الكنيسة بالروح القدس وظهرت ألسنة الروح كنار منقسمة ومستقرَّة عليهم تعبيرًا عن حلول الروح فيهم وتقديسهم وتطهيرهم ثم العمل بواسطتهم.

ويلزمنا هنا التأكيد على أن لا الريح ولا الألسنة ولا النار هي الموضوع الذي ننشغل به، بل الموضوع هو الروح القدس، أمَّا هذه كلها فهي آياته التي تخدم وجوده وعمله، لا كأنها طبيعته بل لتُظهر طبيعته غير الظاهرة.

«وامتلأ الجميع من الروح القدس ...»:

هنا نحن أمام ظاهرة جديدة لعمل الروح القدس وهو الامتلاء الفوري مع النطق الفوري، إمَّا باللغة العادية وإمَّا بلسان يعطيه الروح القدس يكون غريبًا عن لسان الشخص، وذلك كبرهان لعمل الله، أي معجزة تتناسب مع وظيفة التلاميذ الأُولى: وهي إمَّا الكرازة للعالم أجمع بلغاته المعروفة والأمثلة توضِّح ذلك: «حينئذ امتلأ بطرس من الروح القدس وقال لهم: يا رؤساء الشعب وشيوخ إسرائيل» (أع ٤: ٨)، وفي نفس الأصحاح: «ولمَّا صلوا تزعزع المكان الذي كانوا مجتمعين فيه وامتلأ الجميع من الروح القدس وكانوا يتكلَّموا بكلام الله بكل مجاهرة» (أع ٤: ٣١)، وأيضًا: «وأمَّا شاول الذي هو

بولس أيضًا فامتلأ من الروح القدس وشخص إليه وقال ... فالآن هوذا يد الرب عليك فتكون أعمى ...» (أع ١٣: ٩ و١١)، وإمَّا بلغة أخرى غير لغة الكارز وهي التكلُّم بالألسنة، وسيجيء ذكرها.

«وامتلأ الجميع من الروح القدس»:

في البداية يتحتَّم أن نعرف أن هناك ملئًا بالروح القدس يتمُّ في المعمودية مرة واحدة. كما يوجد ملءٌ آخر بعد المعمودية يتكرر كلما شاء الروح واحتاج الكارز. الملء الأول في المعمودية هو تقديس هيكل الإنسان للسكنى والإقامة: «أنتم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم» (١كو ٣: ١٦). وهذا الملء هو الذي يؤهِّلنا للشركة مع الروح القدس والمسيح، وبالتالي في عضوية الجسد أي الكنيسة. أمَّا الملء المتكرر فهو زيارة مفاجئة للروح القدس تتم في حدود عملية معينة يضعها الله على كاهل الكارز لإعلان حق الله والشهادة للمسيح.

كما أن هناك فرقًا بين حلول الروح القدس في القديم على الأنبياء والملوك وهذا قابل أن يفارق من يحلّ عليه؛ وبين حلول الروح القدس في العهد الجديد فهو للعمل في الداخل وهو الملء، وهذا قابل للإحزان وقابل للإطفاء، أمَّا الذي يزدري به فلا خلاص له بل يوضع للهلاك.

والتكلُّم بالألسن أو اللسان له أشكال متعددة، فهنا في سفر الأعمال جاء بأوضح صورة وأقوى مفاعيله حيث يتكلَّم الرسول بلغة لا يعلمها وينطقها دون إرادته، فهذا إعلان صارخ عن وجود الروح القدس ونشاطه واشتراكه في الشهادة بقوة، لذلك سبق المسيح في إنجيل ق. يوحنا وقال: «ومتى جاء المعزِّي الذي سأرسله أنا إليكم ... فهو يشهد لي وتشهدون أنتم أيضًا (بآن واحد)...» (يو ١٥: ٢٦و٢٧). كما أن هناك تكلُّمًا بالألسن بلغة غير مفهومة تحتاج إلى مترجم كما سمعنا في (١كو ١٤: ٢٧و٢٨). كذلك يوجد أيضًا تكلُّم بلسان لا يفهمه أحد ولا يفهمه صاحبه وهو مجرد انفعال بالروح، كما يوجد تكلُّم باللسان مزيَّف من الأرواح الشريرة، لذلك يقول ق. يوحنا: «أيها الأحباء لا تصدِّقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله، لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم» (١يو ٤: ١). أمَّا الاختبار فهو التأكيد من أن هذه الأرواح تشهد للمسيح وتنطق بعظائم الله.

(**ذكر الصدِّيق للبركة**)

في الذكرى السنوية الأولى
لنياحة رئيس تحرير المجلة
الأب يوحنا المقاري

الأحزان المفرحة (١)

[عندما نظرت الوالدة الحَمَل والراعي مُخلّص العالم على الصليب معلقًا قالت وهي باكية: أما العالم فيفرح لقبوله الخلاص، وأما أحشائي فتلتهب عند نظري إلى صلبوتك، يا ابني وإلهي].

العجيب في المسيحية أن ما يبدو فيها متناقضًا، هو عينه سر قوتها وعظمتها وعدم انهزامها أمام أي قوة طبيعية...

العالم بطبيعته مليء بالأحزان ولا مفر لإنسان من الأحزان.

ومع ذلك فالمسيحية تُطوِّب الحزانى (مت ٥: ٤)، بل تقول أكثر من ذلك، إننا نظهر كحزانى ونحن دائمًا فرحون (٢كو ٦: ١٠)، بل إنها تخلق لنا من أحزاننا ذاتها مصادر للفرح والتهليل...

+ «احْسِبُوهُ كُلَّ فَرَحٍ يَا إِخْوَتِي حِينَمَا تَقَعُونَ فِي تَجَارِبَ مُتَنَّوِعَةٍ» (يع ١: ٢).

+ «لأَنَّهُ قَدْ وُهِبَ لَكُمْ لأَجْلِ الْمَسِيحِ لَا أَنْ تُؤْمِنُوا بِهِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا أَنْ تَتَأَلَّمُوا لأَجْلِهِ.» (في ١: ٢٩).

+ «طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكُمْ وَقَالُوا عَلَيْكُمْ كُلَّ كَلِمَةٍ شِرِّيرَةٍ، مِنْ أَجْلِي، كَاذِبِينَ. افْرَحُوا وَتَهَلَّلُوا، لأَنَّ أَجْرَكُمْ عَظِيمٌ فِي السَّمَاوَاتِ ...» (مت ٥: ١١).

بل هي تجعل نصيبنا في احتمال الأحزان فخرًا لنا وإكليلًا، وهذا ما جعل القديس بولس الرسول يسرد قائمة أحزانه وأتعابه بفخر لأهل كورنثوس مثبِّتًا بها رسوليته ومُعدِّدًا لهم كم من المرات ضُرِب ورُجِم، وسُجِن، وكُسِرت به السفينة، بأخطار لصوص، بأخطار من بني جنسه وبأخطار من الأمم (٢كو ١١: ٢٦).. ويقول في رسالته إلى رومية:

---

(١) بمناسبة الذكرى الأولى لانتقال الأب يوحنا المقاري (٢٠٢١/٧/٣) رئيس تحرير مجلة مرقس السابق وصاحب الفضل في استمرارية صدورها منذ سنة ١٩٦٣ مع المتنيِّح الأب الراهب باسيليوس المقاري ... نقدِّم هذه المقالة التي سبق نشرها في مجلة مدارس الأحد في مايو ١٩٥٧، وكان وقتها ما زال عِلمانيًا باسم الدكتور رؤوف جرجس.

+ سبق وأن أصدر الدير نبذة عن حياة الأب يوحنا بعنوان: "أيقونة مضيئة".

«... وَلَيْسَ ذَلِكَ فَقَطْ بَلْ نَفْتَخِرُ أَيْضًا فِي الضِّيقَاتِ عَالِمِينَ أَنَّ الضِّيقَ يُنْشِئُ صَبْرًا وَالصَّبْرُ تَزْكِيَةً وَالتَّزْكِيَةُ رَجَاءً وَالرَّجَاءُ لَا يُخْزِي لأَنَّ مَحَبَّةَ اللهِ قَدِ انْسَكَبَتْ فِي قُلُوبِنَا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُعْطَى لَنَا...» (٥: ٣ – ٥).

فالمسيحية إذن تقدِّم لنا نُصرة على الحزن الذي لا مفر منه في هذا العالم. هي لا تغشُّنا، والمسيح قال لنا صراحة:

«اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ سَتَبْكُونَ وَتَنُوحُونَ وَالْعَالَمُ يَفْرَحُ. أَنْتُمْ سَتَحْزَنُونَ، وَلَكِنَّ حُزْنَكُمْ يَتَحَوَّلُ إِلَى فَرَحٍ. اَلْمَرْأَةُ وَهِيَ تَلِدُ تَحْزَنُ لأَنَّ سَاعَتَهَا قَدْ جَاءَتْ، وَلَكِنْ مَتَى وَلَدَتِ الطِّفْلَ لاَ تَعُودُ تَذْكُرُ الشِّدَّةَ لِسَبَبِ الْفَرَحِ، لأَنَّهُ قَدْ وُلِدَ إِنْسَانٌ فِي الْعَالَمِ. فَأَنْتُمْ كَذَلِكَ، عِنْدَكُمُ الآنَ حُزْنٌ. وَلَكِنِّي سَأَرَاكُمْ أَيْضًا فَتَفْرَحُ قُلُوبُكُمْ، وَلَا يَنْزِعُ أَحَدٌ فَرَحَكُمْ مِنْكُمْ... فِي الْعَالَمِ سَيَكُونُ لَكُمْ ضِيقٌ، وَلَكِنْ ثِقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ» (يو ١٦: ٢٠ – ٢٢، ٣٣).

وسيدنا نفسه سلك طريق الأحزان قبلنا وانتصر عليه، وجعل من آلامه وموته خلاصًا وفرحًا للعالم، بالرغم مما في آلامه وموته من أحزان ألهبت قلب أمه العذراء، ولا زالت تلهب قلوب المتطلّعين إلى صليبه وهو معلَّق عليه لا صورة له ولا منظر لنشتهيه.

فهذا الصليب الذي عليه تمثَّلت أقسى أحزان المخلِّص، هو ذاته ينبوع شفاء الأمم، وسُلم الصعود إلى السماء، وبداية أفراح القيامة، وعلامة ابن الله المتجسِّد لأجل خلاص البشرية.

وهكذا صارت رؤية المسيح والتمتُّع بملكوته وحبه وسلامه، لا تخلو من رؤية صليبه بل وحمل صليبه أيضًا.. لأنه من غير الممكن أن نفكر في المسيح دون أن نصل في النهاية إلى فكرة الصليب بكل جديَّة وإلى ضرورة احتمال الآلام مثله من أجله.

ولعل هذا هو المعنى الذي قصده السيد المسيح حينما علَّمنا قائلًا: «إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي» (مت ١٦: ٢٤).

يُعوزنا الآن أن نفهم كيف تصير أحزاننا مصدرًا للفرح!!

فالحزن بمعناه المبسط هو الشعور الذي يجتاحنا حينما لا تسير الأمور حسب هوانا. فقد نحزن من آلام جسدية تُسببها الأمراض، أو من آلام نفسية مصدرها الفشل أو شدة الحاجة أو من مؤامرات ناس أشرار أو فقد عزيز... وقد نحزن بسبب الخطية العاملة في أعضائنا والتي تدفعنا لنعمل شرًا لا نريده... فأول كل شيء يُعوزك أن تتخلَّى عن هواك لكي تعلم أن كل الأشياء تعمل معًا للخير للذين يحبون الله.. وأن المُر الذي يختاره لك الله

خير من الحلو الذي تختاره لنفسك.

أما إن كان حزنك بسبب آلام جسدية فاسمع قول معلمنا بولس الرسول من جهة آلامه الجسدية: «وَلِئَلَّا أَرْتَفِعَ بِفَرْطِ الإِعْلاَنَاتِ، أُعْطِيتُ شَوْكَةً فِي الْجَسَدِ، مَلاَكَ الشَّيْطَانِ، لِيَلْطِمَنِي لِئَلاَّ أَرْتَفِعَ. مِنْ جِهَةِ هَذَا تَضَرَّعْتُ إِلَى الرَّبِّ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ أَنْ يُفَارِقَنِي. فَقَالَ لِي: "تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تُكْمَلُ". فَبِكُلِّ سُرُورٍ أَفْتَخِرُ بِالْحَرِيِّ فِي ضَعَفَاتِي، لِكَيْ تَحِلَّ عَلَيَّ قُوَّةُ الْمَسِيحِ» (٢كو ١٢: ٧-٩).

ألستَ تعلم يا أخي أن هذا الجسد الذي تتألم بسببه هو الذي عذَّبك كثيرًا بعناده وعدم مطاوعته إرادتك الصالحة؟ فليكن لك عزاءٌ في هذه الآلام بأنها دليل رِضا الله عنك وسعيه لتأديبك وتقويم نقائصك.

وليت قلبك يتعزى كثيرًا حينما تعلم أن هذا الجسد الترابي الذي يُؤلمك ويُحزنك ليس هو مسكنك الأبدي، بل هو خيمة وقتية ضعيفة، سوف يأتي الوقت عن قريب لتخلعها مع ضعفاتها ونقائصها ... لتسكن بيتًا يدوم إلى الأبد، لا يعتريه فساد ولا يصيبه ألم أو ضعف.

إن الله وضع لنا الآلام في هذه الحياة لكي لا نتعلَّق بها فننسى الوطن الأصلي الذي خرجنا منه وسنعود إليه. وهو جعل هذه الآلام والأحزان كثيرةً حتى أننا في كل ضيقاتنا نلجأ إليه فيعيننا فنتعزى، وهكذا تصير لنا استجابة الله لنا في وقت الحزن مصدرًا للفرح والتعزية.

أما إن كانت أحزانك بسبب آلام نفسية فليكن حزنك مصحوبًا بالرجاء في محبة الله وقدرته ...

هل تظن يا أخي الحبيب أن الله الذي فداك بدمه يبخل عليك بمعونة تسد حاجتك أو تدفع عنك أذى الناس الأشرار؟!

+ «اَلَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ كَيْفَ لَا يَهَبُنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟» (رو ٨: ٣٢).

لماذا لا تصدِّق أنه لخيرك سمح الله بهذا الفشل وذاك الحرمان وتلك المؤامرات؟!

إن كنت لا تستطيع أن تُصدِّق؛ فاعلم أن سبب حزنك غالبًا هو ابتغاؤك الأشياء القريبة دون الالتفات إلى الأهداف البعيدة ... ومَنْ هو الذي يطلب الأشياء القريبة دون الأغراض البعيدة؟ أليس هو الطفل؟! ونحن إن فعلنا ذلك فلا شك أننا أطفال في روحانياتنا،

ومحتاجون أن ننضج لنتعلَّم كيف نرتجِّي الفوائد البعيدة دون الأشياء القريبة.

+ «لَكِنِ اطْلُبُوا أَوَّلًا مَلَكُوتَ اللهِ وَبِرَّهُ، وَهَذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ» (مت ٦: ٣٣).

فلا نحزن بعد اليوم على أمور فانية باطلة، بل ليتنا لا نحزن إلَّا على خطايانا التي تقف حائلًا بيننا وبين نوال الملكوت.

أما إن كان حزنك بسبب عزيز فقدته، فلماذا تنسى يا حبيب الله، أنك لست من هذا العالم كما أن عزيزك الذي مات ليس من هذا العالم؟ هل تراه شيئًا معقولًا أن تحزن على عودة غريب إلى وطنه ... أو على إطلاق سجين من سجنه؟! أليس هذا ما نؤمن به؟!

قد تقول لي، إن خسارتنا فيه لا تُعوَّض، فقد كان لنا مصدر خير وبركة لنا، وربما كلامك هذا صحيح ... إلَّا أن محبتك لهذا العزيز توجب عليك أن تتنازل عن منفعتك منه في سبيل تمتعه الأبدي بأفراح القديسين في ملكوت السموات ... وحينئذ سوف تحس بأن حزنك على فراقه قد امتزج بفرحك لمكسبه.

ولقد كَتَبَ أحد المسيحيين بعد فقد زميل عزيز يقول: "قد تعلَّمتُ أن المضاد للفرح ليس الحزن بل الخطية، فالحزن الحقيقي والفرح الحقيقي قد يأتَلِفان معًا".

أما إن كان حزنك بسبب الخطية المحاربة في أعضائك، فلا تخشى من ذلك، كما قال أحد القديسين، لأنه يُسبب لك صلاحًا كثيرًا إن كنتَ قد اقتنيتَ معرفة تجارة الفضائل، فتقتني ربحًا من الخسارة، فإنها أولًا تصير لك مادة للقتال، لأنه حينما لا يوجد خصم لا توجد غلبة. كما أن هذه الحرب تُشعرنا بضعفنا، فتبقينا في اتضاعنا أمام الله، والقلب المنسحق والمتواضع لا يُرذله الله.

حتى وإن هُزمنا في هذه الحرب، فلا نحزن بإفراط فنُبتَلَع من اليأس، فهذه غاية الشيطان، بل لنقم سريعًا ونُقدِّم توبة صادقة، وما أعظم الفرح الذي تجلبه دموع التوبة لقلب التائب.

وهكذا إن استطعنا، بنعمة الله، أن نجد في كل أحزاننا مصادر للفرح والتعزية، نكون بذلك قد أكملنا الوصية التي تأمرنا «افْرَحُوا كُلَّ حِينٍ» (١تس ٥: ١٦).

بقي لنا أن نعرف أن أسمى العواطف النبيلة تنبع من الحزن المقدَّس، حتى أنه يمكن القول بأن الإنسان يصل إلى أعلى مراتب الإنسانية حينما يعرف كيف يتألَّم ويحزن ...

بمناسبة
عيد الصعود

سر صعود الرب

للقديس أوغسطينوس[١]

بعد القيامة أظهر الرب نفسه لتلاميذه ليروه بعيونهم ويلمسوه بأيديهم، وليؤكد لهم أنه لم يكن خيالًا أو روحًا: «جُسُّونِي وَانْظُرُوا، فإِنَّ الرُّوحَ لَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَعِظَامٌ كَمَا تَرَوْنَ لِي» (لو ٢٤: ٣٩). ثم مكث معهم أربعين يومًا وهو يدخل إليهم ويخرج (أع ١: ٢١) ويكلمهم عن الأمور المختصة بملكوت الله (أع ١: ٣). وأكل وشرب معهم ليس من واقع احتياجه، بل بسلطانه لكي يشاركهم في حياته، فأظهر بذلك أنه قام بجسده هو هو وإن كان قد أخذ طبيعة القيامة.

لماذا أربعون يومًا؟

لماذا لم يمكث مع تلاميذه أقل أو أكثر من أربعين يومًا؟ لم يكن هذا بدون سبب. فلعل الأربعين يومًا تمثِّل ملء الحكمة، وهذا ما دعاه أن يصوم أيضًا أربعين يومًا، ولعل هذا هو أيضًا سبب صوم إيليا – الذي كان يمثل في شخصه قوة النبوَّة في العهد القديم – أربعين يومًا (١مل ١٩: ٨)، كما أن موسى النبي الذي كان يمثِّل الناموس صام أربعين يومًا (خر ٢٤: ١٨)، وهكذا قاد بني إسرائيل مدة أربعين سنة في البرية (عد ٣٢: ١٣). ولمدة أربعين يومًا مكث فُلك نوح بدون ضرر تحت مطر الطوفان (تك ٧: ١٢). الفُلك الذي يرمز إلى الكنيسة والذي صُنِع من خشبٍ لا يسوِّس يُشير إلى نفوس القديسين الأبرار، والذي احتوى في داخله على الحيوانات الطاهرة وغير الطاهرة، لأنه طالما نعيش نحن في هذا العالم فإن الكنيسة لا بد أن تحوي في داخلها الصالحين والأردياء ثم تتطهَّر بالمعمودية كما بطوفان. ولكن كما حمل الله نوحًا وذويه فوق مياه الطوفان لمدَّة أربعين يومًا، هكذا تحملنا الكنيسة في هذا العالم لزمان قليل (وكأنه أربعين يومًا).

---

(1) PL 38, Sermon 262,264. De Ascensione Domini II, IV.

المسيح الذي صعد يحوي الرأس والأعضاء:

المسيح واحدٌ مع الآب، وهو أيضًا واحدٌ معنا! ولكن إن كان يذهب إلى الآب وحده فما هو ربحنا من ذلك؟ ولأي هدف يُقنع الروح القدس العالم بهذا البرِّ؟ ومع ذلك فإن كان هو لا يذهب وحده إلى الآب لمَّا قال: «لَيْسَ أَحَدٌ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلاَّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ» (يو ٣: ١٣). ولكن الرسول بولس يقول أيضًا: «إِنَّ سِيرَتَنَا نَحْنُ هِيَ فِي السَّمَوَاتِ» (في ٣: ٢٠). ولمَ هذا؟ لأنه يقول أيضًا: «فَإِن كُنْتُمْ قَدْ قُمْتُمْ مَعَ الْمَسِيحِ فَاطْلُبُوا مَا فَوْقُ، حَيْثُ الْمَسِيحُ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِ اللهِ. اهْتَمُّوا بِمَا فَوْقُ لاَ بِمَا عَلَى الأَرْضِ، لأَنَّكُمْ قَدْ مُتُّمْ وَحَيَاتُكُمْ مُسْتَتِرَةٌ مَعَ الْمَسِيحِ فِي اللهِ» (كو ٣: ١ – ٣). فكيف، إذن، يكون هو وحده؟ هل هذا يعني أنه هو واحدٌ مع جميع أعضائه كما أن الرأس واحدة مع الجسد؟ وما هو جسده إن لم يكن هو الكنيسة؟ كما يقول الرسول: «أَمَّا أَنْتُمْ فَجَسَدُ الْمَسِيحِ، وَأَعْضَاؤُهُ أَفْرَادًا» (١كو ١٢: ٢٧). وحيث إننا سقطنا وهو نزل من السماء من أجلنا، فما الذي تعنيه تلك الكلمات: «لَيْسَ أَحَدٌ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلَّا الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ»، إذا لم يكن أنه لا يصعد إلى السماء أحدٌ لم يُصبح واحدًا معه، وكعضو يصبح مستترًا في جسد ذاك الذي نزل من السماء؟

لقد ذهب الرب، وهو رأسنا، بالجسد قبلنا إلى السماء، وسوف تتبعه بقية الأعضاء، لماذا؟ لكي تستريح تلك الأعضاء في سلام بعد الموت لبعض الوقت، ثم في الوقت المعيَّن تقوم كلها مرةً أخرى. لقد فضَّل المسيح أن يقدِّم لله أبيه في نفسه "باكورة الراقدين" حتى عندما ترى أنت ما تجدَّد فيه بالقيامة ستمتلئ بالرجاء فيما سيحدث لك أنت أيضًا.

الرب يفطمنا من علاقتنا المنظورة به:

لماذا صعد الرب؟ لأنه لم يشأ أن يبقى أمام عيون تلاميذه وأتباعه في الجسد حتى لا يتعلَّقوا به جسديًّا وعاطفيًّا. لقد اعتادوا أن يروه بينهم كسيدهم ومعزيهم ومشيرهم وحافظًا لهم وهو إنسان مثلهم، ورغم أنه غاب عنهم ثلاثة أيام في القبر، إلاّ أنه كان يحرسهم كما تحرس الدجاجة صغارها الضعيفة. أمَّا الآن، فينبغي أن يَسْمُوا بأذهانهم ويبدأوا في التفكير فيه روحيًّا.

لقد أراهم نفسه لكي يثبتوا في إيمانهم ثم كان ينسحب من أمام عيونهم لكي يتعلَّموا أن يفكروا فيه كإله، وأنه بعد أن كلَّمهم كأخ على الأرض ينبغي الآن أن يعضدهم كرب من السماء، ولذلك سبق وقال لهم: «لَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي لَكُنْتُمْ تَفْرَحُونَ لأَنِّي قُلْتُ أَمْضِي إِلَى الآبِ، لأَنَّ أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي» (يو ١٤: ٢٨)، كما قال أيضًا: «أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ» (يو ١٠: ٣٠)، هذه الوحدانية التي علَّمها لفيلبس قائلًا: «أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا هذِهِ مُدَّتُهُ وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَا فِيلُبُّسُ! اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ، فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ أَرِنَا الآبَ؟» (يو ١٤: ٩). إنه يقصد هنا الذي يراه بعين النفس لا الجسد.

ولماذا قال: «أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي»؟ لأنه إذا انسحب من أمام عيونهم كإنسان فحينئذٍ ستتركز أفكارهم في الله، ولذلك أراد أن يقطع العلاقة المألوفة بينهم وبينه حتى إنهم في غيابه بالجسد عنهم يفكرون في لاهوته وفي شخصه (أي أقنومه) كمساوٍ للآب، لذلك قال لهم: «لَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي لَكُنْتُمْ تَفْرَحُونَ لأَنِّي قُلْتُ أَمْضِي إِلَى الآبِ». إذًا، فلتصعد هيأتي هذه من أمامكم إلى السماء لكي تتعلَّموا ما هو الذي ينبغي أن تترجوه.

لأنه لو كان الرب قد خلع جسد القيامة – ولم يصعد به إلى السماء – لكان البشر قد يئسوا من قيامة أجسادهم. والآن قد حزن التلاميذ يسيرًا بسبب انفصاله عنهم بالجسد، ولكن بعد عشرة أيام مليئة بالصلوات حلَّ عليهم الروح القدس الذي ملأهم بالمحبة الروحية ونزع من قلوبهم التعلُّق الأرضي والعاطفي بالرب. ومنذ ذلك الحين ابتدأوا يؤمنون بمساواة الابن كلمة الله بالآب، ولم يكن ممكنًا أن يمتلئوا بهذا المفهوم إلَّا لأن موضوع حبِّهم العاطفي الأرضي اختفى من أمام عيونهم. وهنا ابتدأوا يفهمون أن الآب والابن واحد بالطبيعة، وفي نفس الوقت "الآب أعظم مني" بسبب الرحمة وعظم التحنن التي جعلت الابن يتضع ويصير إنسانًا. إنه لم يتغير عندما أخذ جسدًا تمامًا كما أن من يلبس رداءً لا يتغير بل تظل شخصيته كما هي داخل الرداء. وكأن الرب يقول لنا: إنني أترككم شكليًّا فقط، أمَّا داخليًّا فأنا سوف أملأكم من ذاتي، سوف أملك على نفوسكم بقوة لاهوتي لكي تتغيَّروا داخليًّا وتأخذوا حياتي فيكم!!

انظر بقية المقال (صفحة ٢٣)

«الإينرجيا الإلهية»(٢)

«مَا هِيَ عَظَمَةُ قُدْرَتِهِ الْفَائِقَةُ نَحْوَنَا نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ،
حَسَبَ عَمَلِ (إينرجيا ἐνέργειαν) شِدَّةِ قُوَّتِهِ.
الَّذِي عَمِلَهُ فِي الْمَسِيحِ، إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ» (أف ١: ١٩، ٢٠)

(بقية المنشور في العدد السابق)

توصَّلنا في المقال السابق إلى أن الله هو «**القادر أن يفعل فوق كل شيء، أكثر جدًّا مما نطلب أو نفتكر**» (أف ٣: ٢٠)، واعتبرنا مفردات هذه الآية التي تعطيها معانيها الفائقة. والآن يعود بولس الرسول ويقرر لنا ماذا سيكون مجد الله في الخليقة الجديدة (المسيح والكنيسة):

«**لَه الْمَجْدُ فِي الْكَنِيسَةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ إِلَى جَمِيعِ أَجْيَالِ دَهْرِ الدُّهُورِ. آمِينَ**» (أف٣:٢١)
حيث عبارة «لَهُ الْمَجْدُ فِي الْكَنِيسَةِ» تعني أن مجد الله سيُستعلَن ويُرَى. ولكننا هنا لن نرى مجده فقط في الخليقة العتيقة، «اَلسَّمَوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ» (مز ٢٠: ١) ، ولا حتى كلمة الله المكتوبة – العهد القديم – كانت كافية لتستعلن لنا مجد الله، لذا «اَللهُ، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ ... الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ» (عب ١: ١-٣). فقد جاء كلمة الله وتجسَّد[1]. «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا» (يو ١: ١٤). لكن المجد يبلغ ذروته ونهايته وكماله ومرحلته الأخيرة لا في السموات المنظورة ولا في كلمة الله المكتوبة ولا في مجرد تجسُّد يسوع المسيح لكن في الكنيسة في المسيح – الإنسان الجديد – «لَه الْمَجْدُ فِي الْكَنِيسَةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ إِلَى جَمِيعِ أَجْيَالِ دَهْرِ الدُّهُورِ. آمِينَ» (أف ٣: ٢٢). فنحن سنكون آنية للمجد، وسنعكس روعة المجد، وسيحل فينا المجد إلى

(١) كان تجسد الكلمة في الحقيقة تكميلًا لعمل حضوره المستمر في الخليقة، ثم كشفًا مفاجئًا لفكر الإنسان عن مدى إمكانية وقدرة الكلمة للاتصال والاتحاد بالخليقة الممثلة في الإنسان المخلوق على صورة الله. كتاب ق. أثناسيوس الرسولي، الأب متى المسكين، ص ٥٨٩.

جميع أجيال دهر الدهور[٢]. لن يكون هناك إعلان فوق هذا الإعلان، هذا هو دور المسيح والكنيسة في الخليقة الجديدة. وهذا هو منتهى قصد الله في الكنيسة في المسيح من نحو الخليقة الجديدة والذي بدأ بقيامة المسيح من الموت. هذا كُلُّهُ سيتم عندما يأتي الذي سيُغيِّر شكل جسد تواضعنا (مذلتنا) ليكون على صورة جسد مجده[٣]. هذا المجد رآه يوحنا وشهد عن أورشليم الجديدة أنها «لَهَا مَجْدُ اللهِ» (رؤ ٢١: ١١). أي أننا سنعكس مجد الله الساكن فينا. في هذا يقول ق. أثناسيوس الرسولي:

[*هذه النعمة* («لذلك رفَّعه الله» في٢: ٩) *لم ينلها اللوغوس في ذاته بكونه اللوغوس، بل نحن الذين نلناها. لأننا بسبب انتسابنا لجسده قد صرنا نحن أيضًا هيكلًا لله وصرنا أبناءً لله، حتى إن الرب يُسجَد له فينا نحن أيضًا، والذين يروننا ينادون كما يقول الرسول بأن اللهَ بِالْحَقِيقَةِ فِيهِمْ*] (١كو ١٤: ٢٥)[٤].

ليس معنى ذلك أن تحقيق ملء الله ووجوده سيتم بواسطة الكنيسة، لأن الذي يملأ هنا هو الله[٥]، «الْكَنِيسَةَ الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ، مِلْءُ الَّذِي يَمْلأُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ» (أف ١: ٢٣) فالذي يملأ هو الله والذي يُملأ بواسطة الله هو الكنيسة والعالم.

في رسالة أفسس، وفي صلاته لأجل المؤمنين، يصلي بولس الرسول أن نعرف ما هي عظمة قوة قيامة المسيح من الموت، وما مدي تسخُّب هذه القوة على الكنيسة فيقول:

«كَيْ يُعْطِيَكُمْ إِلهُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَبُو الْمَجْدِ، رُوحَ الْحِكْمَةِ وَالإِعْلاَنِ فِي مَعْرِفَتِهِ، مُسْتَنِيرَةً عُيُونُ أَذْهَانِكُمْ، لِتَعْلَمُوا مَا هُوَ رَجَاءُ دَعْوَتِهِ، وَمَا هُوَ غِنَى مَجْدِ مِيرَاثِهِ فِي الْقِدِّيسِينَ، وَمَا هِيَ عَظَمَةُ = μέγεθος = greatness

قُدْرَتِهِ = δύναμις = power

الْفَائِقَةُ = ὑπερβάλλω = surpassing

---

(٢) «وأنتم مملوؤون فيه» (كو ٢: ١٠)

(٣) راجع في ٣: ٢١.

(٤) أثناسيوس الرسولي، ضد الأريوسيين، المقالة الأولى، فصل ١١، فقرة ٤٣.

(٥) في رسالتَي أفسس وكولوسي، الملء والامتلاء يشيران إلى استعلان مجد الله للعالم من خلال المسيح يسوع، وإلى القوة المنقولة بواسطة الله في المسيح وفي الكنيسة، وإلى الحياة والنمو والخلاص المعطى من المسيح إلى جسده. أو باختصار إلى حضور الله الحي ومسيحه وسط شعبه المختار لأجل الخليقة. فالكنيسة هنا خادمة للخليقة، وعملها أن تعلن حضور الله القوي والمحب، وهي مَصدٌّ لكلِّ الأرواح الشريرة.

نَحْوَنَا نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ، حَسَبَ عَمَلِ ἐνέργεια = energy
شِدَّةِ = κράτος = immense
قُوَّتِه = ἰσχύος = strength
الَّذِي عَمِلَهُ = ἐνεργέω = worked فِي الْمَسِيحِ،
إِذْ أَقَامَهُ ἐγείρω مِنَ بين الأَمْوَاتِ،
وَأَجْلَسَهُ عَنْ يَمِينِهِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ، فَوْقَ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ وَسِيَادَةٍ، وَكُلِّ اسْمٍ يُسَمَّى لَيْسَ فِي هذَا الدَّهْرِ فَقَطْ بَلْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَيْضًا، وَأَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، وَإِيَّاهُ جَعَلَ رَأْسًا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ، الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ، مِلْءُ الَّذِي يَمْلأُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ» (أف ١: ١٧-٢١).

هنا بولس الرسول يستعمل أقصى ما يمكن أن تُقدِّمه اللغة للتعبير عن قيامة الرب المكنون فيها كل هذه القوة الفائقة اللانهائية، حتى عبَّر عنها بهذه المترادفات القوية لأنها قيامة اللوغوس اللانهائي، ولذلك ففيها قوة لا نهائية، ولكنها في نفس الوقت حدثت له في الجسد المأخوذ منَّا، حتى تكون هذه القوة اللانهائية لحسابنا نحن ومتصلة بنا.

قوة القيامة هي قوة الحياة الأبدية فقيامة المسيح ليست قيامة فردية، ليست أن يقوم هو بنفسه فقط. هذه القيامة لا تزيده شيئًا لأنه دائمًا كان في المَجد الذي له، في حضن الآب، من قبل تأسيس العالَم. هذا المَجد فائق لا نهائي لا نستطيع أن نتصوَّره بالعقل ويفوق بكثير قيامة جسد من القبر. ولكن الربح كله من قيامة المسيح هو لحسابنا نحن، لحساب البشرية جمعاء التي أقامها معه، «وَأَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوع» (أف ٢: ٦).

والسؤال هنا: هل لنا نصيب في هذه الإينرجيا الإلهية التي وُهِبَت لنا بقيامة يسوع المسيح من بين الأموات؟ وكيف نستشعر هذه الطاقة في قلوبنا؟

لعلك رأيت من قبل استعراضًا لكمال الأجسام Body Building. هل رأيت كيف يتباهى الأبطال بعضلاتهم التي تكاد تقفز من أجسادهم؟ هؤلاء الأبطال ليسوا من عجينة بشرية أخرى ولا من نسل العمالقة ولا يختلفون عنا في الجينات الوراثية. إنهم بشر مثلنا تمامًا، ولكن ما حدث هو

أنهم استثمروا الطاقة الجسدية المذخرة فيهم والموجودة في كلٍّ منا، وبشيء من التدريب استحثوا الطاقة الموجودة في عضلاتهم. هذه الطاقة الجسدية الجبارة بعينها مذخرة فينا وتحتاج فقط من يستحثها لكي تظهر.

هكذا بالمثل الطاقة الروحية مذخرة في كل من اعتمد بالمسيح فلبس المسيح (راجع غل ٣: ٢٧). الطاقة التي يعطيها لنا الله بالروح القدس الساكن فينا، وهو نفس الروح الذي أقام المسيح من بين الأموات «وَإِنْ كَانَ رُوحُ الَّذِي أَقَامَ يَسُوعَ مِنَ بين الأَمْوَاتِ سَاكِنًا فِيكُمْ، فَالَّذِي أَقَامَ الْمَسِيحَ مِنَ بين الأَمْوَاتِ سَيُحْيِي أَجْسَادَكُمُ الْمَائِتَةَ أَيْضًا بِرُوحِهِ السَّاكِنِ فِيكُمْ» (رو ٨: ١١) هذه الطاقة هي الكنز الإلهي الموجود في أوانينا الخزفية (راجع: ٢كو ٤: ٧)، وكل ما نحتاجه لاستثمار هذه الطاقة المكنونة فينا هو تدريب ما يمكن أن نسميه عضلاتنا الروحية. وتدريب العضلات الروحية هذا ليس عسيرًا على القارئ اللبيب، فمنشؤه الصلاة، ومنبعه الإنجيل، ووسيلته المحبة، وغايته الاتحاد بالمسيح.

وهل يوجد دليلٌ كتابيٌّ يثبت حصولنا على هذه الطاقة الفائقة؟

يقول بطرس الرسول: «كَمَا أَنَّ قُدْرَتَهُ δύναμις[٦] الإِلهِيَّةَ قَدْ وَهَبَتْ لَنَا كُلَّ مَا هُوَ لِلْحَيَاةِ وَالتَّقْوَى، بِمَعْرِفَةِ الَّذِي دَعَانَا بِالْمَجْدِ وَالْفَضِيلَةِ، اللَّذَيْنِ بِهِمَا قَدْ وَهَبَ لَنَا الْمَوَاعِيدَ الْعُظْمَى وَالثَّمِينَةَ، لِكَيْ تَصِيرُوا بِهَا شُرَكَاءَ الطَّبِيعَةِ الإِلهِيَّةِ، هَارِبِينَ مِنَ الْفَسَادِ الَّذِي فِي الْعَالَمِ بِالشَّهْوَةِ» (٢بط ١: ٣، ٤).

العطية هنا غير متوقفة لا على مشاعرنا ولا على أفكارنا ولا على إمكانياتنا ولا محاولاتنا الفاشلة، بل على الهبة التي أُعطيت لنا بحسب قدرته الإلهية. والله هنا عندما يعطي، يعطي كل ما هو للحياة والتقوى، وهو ما يهبنا أن نكون «شُرَكَاءَ الطَّبِيعَةِ الإِلهِيَّةِ» (٢بط ١: ٤)، و«شُرَكَاءَ فِي الْمِيرَاثِ وَالْجَسَدِ وَنَيْلِ مَوْعِدِهِ فِي الْمَسِيحِ بِالإِنْجِيلِ» (أف ٣: ٦)، و«شُرَكَاءُ الدَّعْوَةِ السَّمَاوِيَّةِ» (عب ٣: ١)، و«شُرَكَاءَ الْمَسِيحِ» (عب ٣: ١٤) (١كو ١: ٩)، و«شُرَكَاءَ الرُّوحِ الْقُدُسِ» (عب ٦: ٤)، و"شركاء القديسين" (كو ١: ١٢)، و"شركاء المجد العتيد أن يستعلن فينا" (١بط ٥: ١، رو ٨: ١٨). هذه الشركة هي التي تمنحنا القوة أن

(٦) نطق الكلمة اليونانية δύναμις هو ذيناميس وهي أصل كلمة ديناميت في اللغة العربية، وهي مادة شديدة الانفجار.

نهرب من الفساد الذي في العالم بالشهوة. فالله لا يطلب أن نهرب من الشهوات التي في العالم من قبل أن يسبق ويعطينا القوة بحسب قدرته الإلهية.

فستقول لي أيها الإنسان: "بطرس الرسول يتكلم عن نفسه، حينما يذكر شركة الطبيعة الإلهية، وبين إيماننا وإيمانه هوَّة عظيمة قد أُثبتت"!!!

اسمعه يقول في أول نفس الأصحاح «سِمْعَانُ بُطْرُسُ عَبْدُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَرَسُولُهُ، إِلَى الَّذِينَ نَالُوا مَعَنَا إِيمَانًا ثَمِينًا مُسَاوِيًا لَنَا[٧]، بِبِرِّ إِلهِنَا وَالْمُخَلِّصِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (٢بط ١:١) فهذا الإيمان الثمين عينه الذي ننناله هو الذي ناله بطرس والرسل. نعم، فنحن بالمعمودية متنا مع المسيح وقمنا معه، وبالإفخارستيا ننال قوة ما عمله بالجسد لأجلنا. لم يعد ينقصنا شيء، لنا نفس قوة قيامته ونفس عطاياه «لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا أُعْطِيَتِ النِّعْمَةُ حَسَبَ قِيَاسِ هِبَةِ الْمَسِيحِ» (أف ٤: ٧) وليس بحسب برنا ولا قداستنا بل «حَسَبَ قِيَاسِ هِبَةِ الْمَسِيحِ»، الذي يعطي بحسب قدرته الإلهية.

إن آمنت يا إنسان الله أنك أخذت إيمانًا ثمينًا مساويًا لإيمان الرسل، وأنك أُعطيت بحسب قدرته الإلهية أن تكون شريكَ الطبيعة الإلهية، ومن ثَمَّ تستطيع أن تهرب من الفساد الذي في العالم بالشهوة، فلن تستطيع حينئذ أن تتوقف عن الجهاد، «وَلِهذَا عَيْنِهِ وَأَنْتُمْ بَاذِلُونَ كُلَّ اجْتِهَادٍ قَدِّمُوا فِي إِيمَانِكُمْ فَضِيلَةً، وَفِي الْفَضِيلَةِ مَعْرِفَةً، وَفِي الْمَعْرِفَةِ تَعَفُّفًا، وَفِي التَّعَفُّفِ صَبْرًا، وَفِي الصَّبْرِ تَقْوَى، وَفِي التَّقْوَى مَوَدَّةً أَخَوِيَّةً، وَفِي الْمَوَدَّةِ الأَخَوِيَّةِ مَحَبَّةً» (٢بط ١: ٥-٧). سلسلة الفضائل المتلاحقة هذه أصلها هو النعمة، فالنعمة هي الكنز الذي يعطيه الله بغنًى للإنسان، فيستثمره الإنسان بجهاده، فينتج ثمر الروح وكل فضيلة. هذا هو المفهوم الأرثوذكسي السليم للنعمة، وهو ما تبرزه كلمات الوحي التي تقول «لأَنَّكُم بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ. لَيْسَ مِنْ أَعْمَال كَيْلَا يَفْتَخِرَ أَحَدٌ. لأَنَّنَا نَحْنُ عَمَلُهُ، مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَعْمَال صَالِحَةٍ، قَدْ سَبَقَ اللهُ فَأَعَدَّهَا لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا» (أف ٢: ٨-١٠). فنحن مخلوقون **أولًا** في المسيح خليقة جديدة، **ثم** هذه الخلقة الجديدة في المسيح تعطينا أن نسلك في الأعمال الصالحة التي سبق اللهُ فأعدها لنا[٨]. وإن

---

(٧) ويؤكد بطرس نفسه هذا المبدأ بعد قبول الأمم للإيمان إذ يقول: «فَإِنْ كَانَ اللهُ قَدْ أَعْطَاهُمُ الْمَوْهِبَةَ كَمَا لَنَا أَيْضًا بِالسَّوِيَّةِ مُؤْمِنِينَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، فَمَنْ أَنَا؟ أَقَادِرٌ أَنْ أَمْنَعَ اللهَ؟» . (أع ١١: ١٧).

(٨) «لِكَيْ تَظْهَرَ أَعْمَالُهُ أَنَّهَا بِاللهِ مَعْمُولَة» (يو ٣: ٢١).

فهمنا الترتيبَ معكوسًا وكنا نظن أنه بأعمالنا التي نخالُ أنها صالحة ننال النعمة ونصير مخلوقين خلقة جديدة في المسيح نخطئ ونتغرب عن روح الإنجيل، وعن الجهاد القانوني، ولكن ليس لنا عادةٌ مثل هذه ولا لكنائس الله. من ثَمَّ لنراجع جهادنا لنرى هل هو بذراعنا أم نتيجة حتمية لنعمة الله الغنية فينا.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: هل بعدما أخذنا كل هذه النعمة الغنية نكون معصومين من الخطأ؟ وإن كنا نخطئ فماذا نفعل بعدما نخطئ؟ يجيب بطرس ويقول: لا «لأَن هذِهِ إِذَا كَانَتْ فِيكُمْ وَكَثُرَتْ، تُصَيِّرُكُمْ لاَ مُتَكَاسِلِينَ – بل نشطين – وَلَا غَيْرَ مُثْمِرِينَ – بل مثمرين – لِمَعْرِفَةِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ ... لِذلِكَ بِالأَكْثَرِ اجْتَهِدُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ تَجْعَلُوا دَعْوَتَكُمْ وَاخْتِيَارَكُمْ ثَابِتَيْنِ. لأَنَّكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذلِكَ، لَنْ تَزِلُّوا أَبَدًا» (٢بط ١: ٨، ١٠). هنا يشجعنا الرسول على الاجتهاد ثانية لكي نجعل دعوتنا واختيارنا ثابتَين. ويجيب يوحنا الرسول بوضوحٍ أكثر فيقول: «وَلكِن إِنْ سَلَكْنَا فِي النُّورِ كَمَا هُوَ فِي النُّورِ، فَلَنَا شَرِكَةٌ بَعْضِنَا مَعَ بَعْضٍ، وَدَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيَّةٍ. إِنْ قُلْنَا: إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيَّةٌ نُضِلُّ أَنْفُسَنَا وَلَيْسَ الْحَقُّ فِينَا. إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ. إِنْ قُلْنَا: إِنَّنَا لَمْ نُخْطِئْ نَجْعَلْهُ كَاذِبًا، وَكَلِمَتُهُ لَيْسَتْ فِينَا» (١يو ١: ٧-٩). ويعود فيضيف «يَا أَوْلاَدِي، أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هذَا لِكَيْ لاَ تُخْطِئُوا. وَإِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ. وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضًا» (١يو ٢: ١-٢). ويختتم بطرس الرسول فيقول إنَّ النتيجة الحتمية لذلك هي «لأَنَّه هكَذَا يُقَدَّمُ لَكُمْ بِسِعَةٍ دُخُولٌ إِلَى مَلَكُوتِ رَبِّنَا وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الأَبَدِيِّ» (٢بط ١: ١١).

خاتمة

عرفنا مما سبق أن قنبلة هيروشيما الهائلة كانت كافية لتدمير مدينة بأكملها. ثم عرفنا أن الانفجار العظيم (البيج بانج) بطاقته المهولة البنَّاءة والخلَّاقة كان سببًا في تكوين الخليقة العتيقة. وأما قيامة الرب فكانت نقطة البدء لتكوين الخليقة الجديدة للإنسان في المسيح يسوع، والقيامة كفعلٍ امتد من الزمن للخلود ومن الأرض للسماء، فالقيامة هيأت أجساد الناس للدخول إلى السماء. القيامة ألغت الزمان والمكان «هَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ» (مت ٢٨: ٢٠). فالزمن مقرون بالخليقة القديمة، وأمَّا بالقيامة، فالذين في القبور أنعم لهم بالحياة الأبدية. طاقة قيامة الرب هذه بعينها مذخرة فينا – بحسب قدرته الإلهية

– كطاقة شركة في الطبيعة الإلهية، وكطاقة ثمر مستمر لعمل الروح القدس، وطاقة نصرة على الخطية، وطاقة هروب من فساد العالم، وطاقة جهاد مستمر بفعل النعمة، وطاقة دعوة واختيار ثابتَين، لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ في السموات لأجلنا[٩]، ودخول بسعة إلى ملكوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الأبدي[١٠]. «لِذلِكَ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، إِذْ أَنْتُمْ مُنْتَظِرُونَ هذِهِ، اجْتَهِدُوا لِتُوجَدُوا عِنْدَهُ بِلاَ دَنَسٍ وَلاَ عَيْبٍ، فِي سَلاَمٍ» (٢بط ٣: ١٤). «لَهُ الْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ. آمِينَ» (١بط ٥: ١١).

✠✠✠

✠✠✠ **بقية مقال: سر صعود الرب (المنشور صفحة ١٦)** ✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠

من نبوات الصعود:

يقول سفر المزامير: «ارفعوا أيها الرؤساء أبوابكم وارتفعي أيتها الأبواب الدهرية فيدخل ملك المجد، مَنْ هو ملك المجد هذا؟ رب القوات هذا هو ملك المجد» (مز ٢٤: ٧ – ١٠ سبعينية)، «صعد الله بتهليل» (مز ٤٧: ٥)، «اللهم ارتفع على السموات وليرتفع مجدك على كل الأرض» (مز ٥٧: ٥). ولمَنْ قيلت هذه الآية الأخيرة؟ هل قيلت للآب الذي لم ينزل أو يضع نفسه قط؟ بل قيلت لمَنْ وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب. اللهم ارتفع على السموات لأنك أنتَ هو الله، اتَّخِذ كرسيك في السماء يا مَنْ سوف يأتي كديَّان وحاكم عادل. مَنْ يستطيع أن يؤمن بهذا الصعود بدون معونة ذاك الذي «يُقِيمُ الْمِسْكِينَ مِنَ التُّرَابِ. يَرْفَعُ الْفَقِيرَ مِنَ الْمَزْبَلَةِ لِلْجُلُوسِ مَعَ الشُّرَفَاءِ وَيُمَلِّكُهُمْ كُرْسِيَّ الْمَجْدِ» (١صم ٢: ٨)؟

«وليرتفع مجدك على كل الأرض»، وما هو مجد الرب يسوع على الأرض سوى كنيسته التي انتشرت على الأرض كلها؟ إنها عروسه، محبوبته، حمامته، شريكته في المجد، إنها هي مجده. فإن كانت «الْمَرْأَةُ هِيَ مَجْدُ الرَّجُلِ» (١كو ١١: ٧) أفلا تكون الكنيسة هي مجد المسيح؟ هذا الذي له المجد مع أبيه الصالح والروح القدس إلى الأبد آمـين.

---

(٩) راجع ١بط ١: ٤.

(١٠) راجع ٢بط ١: ١١.

الإفخارستيا سر الوحدة
سر الجماعة المجتمعة (٢)

❀ ❀ ❀

ملخَّص لما سبق:

لقد عرضنا في العدد السابق البُعد الكنسي لسر الإفخارستيا، بدءًا من الإشارات المبكِّرة له في العهد القديم، ثم تجلِّي هذه الصفة في العهد الجديد، وعلى الخصوص في صلاة الرب لأجل وحدة تلاميذه التي جاءت تعقيبًا على توزيع جسده ودمه عليهم لأول مرة، حتى صار يقول «أنا فيهم»، ثم رأينا معنى «الخبز الواحد، الجسد الواحد» في الجماعات المسيحية التي أسَّسها بولس الرسول، وكيف فهمت الأجيال المسيحية الأولى هذه الصفة الجماعية لسر لإفخارستيا كما يظهر في الديداخي والدسقولية وقداس سيرابيون والتقليد الرسولي لهيبوليتس وقوانين أثناسيوس، وأخيرًا تطبيق ذلك في التقليد الرهباني المبكِّر حيث كانوا في بعض البراري لا يبدأون القداس إلَّا بعد أن يحضر جميع الإخوة، وإن تأخر أحدٌ منهم يذهبون أولًا ليفتقدوه حتى يمكنهم أن يبدأوا الصلاة.

والآن سنواصل تقديم هذه الصفة كما فهمها آباء الكنيسة بدءًا من القديس إغناطيوس الأنطاكي ووصولًا إلى القديس كيرلس الكبير، وأخيرًا نقدِّمها في النصوص الليتورجية التي نصلِّي بها.

في رسائل القديس إغناطيوس الأنطاكي

رسائل القديس إغناطيوس الأنطاكي تحظى بشهرة واهتمام كبير في جميع الكنائس نظرًا لعمقها ووضوح حب القديس الشديد جدًّا للرب يسوع وتركيزه على وحدة الكنيسة. وتاريخ كتابة هذه الرسائل يلي زمن كتابة الديداخي بسنين قليلة (١١٠م).

❖ لذلك احرصوا أن تجتمعوا بأكثر مواظبة لتقديم الشكر (الإفخارستيا εὐχαριστίαν) والمجد لله. لأنكم حين تجتمعون معًا (ἐπὶ τὸ αὐτό) بمواظبة

تنطرح قوات الشيطان وتنعدم قوة تدميره بتوافقكم في الإيمان[١].

إن عبارة ἐπὶ τὸ αὐτό التي تُترجم "معًا" تعني في أصل تكوينها اللغوي "حول نفس الشيء". وبعض اللاهوتيين مثل الأب نيقولا أفناسييف Nicolas Afanassiev اللاهوتي الروسي الشهير[٢]، يعتبرونها عبارة إفخارستية، فالاجتماع معًا حول نفس الشيء يعني بحسب رأيه، في التقليد الكنسي القديم، الاجتماع حول الإفخارستيا. ويمكن أن نستشف نفس هذا المعنى من هذه العبارة في القول التالي:

- ❖ كما أن الرب لم يصنع شيئًا لا بنفسه ولا برسله بدون الآب المتحد به، هكذا أنتم أيضًا لا تفعلوا شيئًا بدون الأسقف والقسوس، ولا تدَعوا شيئًا يبدو لكم حسنًا إذا فعلتموه بانعزال ἰδίᾳ، بل افعلوا كل شيء معًا (ἐπὶ τὸ αὐτό)، صلاةً واحدةً، طلبةً واحدةً، فكرًا واحدًا، رجاءً واحدًا، في محبةٍ وفرح بلا لوم، الذي هو يسوع المسيح، الذي لا يوجد أفضل منه! اركضوا جميعًا معًا كما إلى هيكل الله الواحد، إلى مذبح واحد، إلى يسوع المسيح الواحد، الذي جاء من الآب الواحد ويبقى مع الواحد ويعود إلى الواحد[٣].
- ❖ احرصوا إذن على أن تُقيموا إفخارستيا واحدة،
  لأنه يوجد جسدٌ واحدٌ لربنا يسوع المسيح،
  وكأسٌ واحدة لدمه لأجل الوحدة[٤].
- ❖ لتُحسب إفخارستيا صائبة تلك التي يُقيمها الأسقف
  أو من يكلّفه هو بذلك[٥].

يظهر من هذه الأقوال أن الإفخارستيا في ذهن القديس إغناطيوس هي سر الكنيسة، بل سر وحدة الكنيسة، وهذا السر لا يمكن أن يُقام "بانعزال" (ἰδίᾳ)، بل لا بد أن يجتمع الجميع معًا تحت قيادة الأسقف والقسوس ليُقيموا هذا السر "معًا" (ἐπὶ τὸ αὐτό).

---

(١) رسالة إغناطيوس إلى أهل أفسس ١٣:١.

(٢) قد علَّم لعدة عقود في معهد القديس سرجيوس بباريس، ويُعتبر أستاذًا للاهوتيَين البارزَين Alexander Schmemann & John Meyendorff

(٣) رسالة إغناطيوس إلى أهل مغنسيا ٧ : ١-٢.

(٤) رسالة إغناطيوس إلى أهل فيلادلفيا ٤.

(٥) رسالة إغناطيوس إلى أهل سميرنا ٨:١.

يوستينوس الشهيد

❖ في اليوم المدعو يوم الشمس (يوم الأحد) يُقيم جميع الساكنين في المدن والأرياف اجتماعًا معًا (ἐπὶ τὸ αὐτό) ويقرأون مدوَّنات الرسل وكتب الأنبياء... ويُقدِّم خبزٌ وخمرٌ وماءٌ فيَرفع المتقدِّم صلواتٍ وتشكراتٍ (εὐχαριστίας) على قدر ما يستطيع ويجيب الشعب قائلًا آمين[٦].

القديس يوستينوس الشهيد يصف هنا الإفخارستيا في منتصف القرن الثاني (١٥٠م) ويظهر من وصفه ارتباط الإفخارستيا بيوم الأحد، ثم أنها تستلزم حضور "جميع الساكنين في المدن والأرياف" في اجتماع "معًا" (ἐπὶ τὸ αὐτό) حيث يظهر هذا المصطلح بطابعه الإفخارستي كما في الأقوال السابقة.

هيبوليتوس الروماني

❖ «فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ يُؤْكَلُ (خروف الفصح). لاَ تُخْرِجْ مِنَ اللَّحْمِ مِنَ الْبَيْتِ إِلَى خَارِجٍ» (خر١٢: ٤٦)،
لأن الاجتماع واحد، والبيت واحد، الذي هو الكنيسة الواحدة، التي فيها يؤكَل جسد المسيح المقدَّس الواحد، ولا يُخرج شيء منه إلى خارج[٧].

هنا القديس هيبوليتوس يستنبط من ضرورة أكل خروف الفصح في بيت واحد ضرورة إقامة الإفخارستيا في اجتماع واحد وبيت واحد الذي هو الكنيسة الواحدة. فالإفخارستيا هي سر الكنيسة الواحدة.

كبريانوس الشهيد

❖ حينما يدعو الرب جسده خبزًا مكوَّنًا من حبَّات كثيرة، فهو يُشير بذلك إلى وحدة شعبنا؛ وحينما يدعو دمه خمرًا من نتاج عناقيد كثيرة من العنب صارت شرابًا واحدًا، فهو يعني بذلك أن قطيعنا مكوَّن من كثرة تحوَّلت إلى وحدة[٨].

من الواضح أن القديس كبريانوس متأثِّر في هذا القول بالنصوص الليتورجية المبكرة

---

(٦) يوستينوس الشهيد، كتاب الدفاع الأول ٦٧: ٣-٥.
(٧) Paschal Homily 41, SC 27, 163
(٨) رسالة ٦٩: ٥: ٢.

مثل الديداخي والمراسيم الرسولية وقداس سيرابيون التي رأيناها تتأمَّل في انجماع حبات القمح الكثيرة لتصير خبزًا واحدًا كإشارة إلى انجماع الكثيرين ليصيروا جسدًا واحدًا بفعل الإفخارستيا، غير أن القديس كبريانوس يضيف إلى ذلك تأمُّلًا جديدًا من عنده وهو أن الرب قصد أيضًا اختيار مادة الخمر للإفخارستيا لأن الخمر أيضًا تتكوَّن من عناقيد عنب كثيرة صارت شرابًا واحدًا.

القديس أثناسيوس الرسولي

❖ حينما **نتناول نحن جميعًا منه هو بعينه**، نصير جميعنا جسدًا واحدًا، إذ يكون الرب الواحد فينا[٩].

القديس يوحنا ذهبي الفم

❖ فكما أن الخبز يصير واحدًا من حبات كثيرة مجتمعة، حتى أن الحبَّات لا تكون ظاهرة مع أنها موجودة، لأن الفرق بينها غير واضح بسب الاتحاد، هكذا نحن أيضًا نتحد بعضنا مع بعض ومع المسيح. لأنك لا تأكل أنت من جسدٍ وغيرك من جسدٍ آخر، بل الجميع يأكلون من الواحد بعينه. ولذلك أضاف الرسول: «لأننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد». فإن كنا جميعًا نشترك في الواحد، بل ونصير هذا الواحد بعينه، فلماذا لا نُظهِر أيضًا المحبة الواحدة، فنصير بذلك أيضًا واحدًا؟[١٠].

هنا يَظهر القديس ذهبي الفم متأثِّرًا ليس فقط بما يقوله بولس الرسول في رسالته إلى أهل كورنثوس التي يشرحها، ولكن أيضًا بالصلاة التي رأيناها في الديداخي والنصوص الليتورجية المبكرة الأخرى: [كما أن هذا المكسور كان مبعثرًا على الجبال، وصار واحدًا عندما **اجتمعت** أجزاؤه، هكذا فلتكن كنيستك **مجموعة** من أقاصي الأرض للدخول إلى ملكوتك]. فمع أن هذا التشبيه الذي رأيناه منتشرًا في النصوص الليتورجية المبكرة (الديداخي، المراسيم الرسولية، قداس سيرابون، قداس بردية دير البلايزا) لم يَعُد مذكورًا في الليتورجيات الأحدث، لكنه بَقِيَ مغروسًا في ضمير الكنيسة، كما رأيناه في أقوال القديس كبريانوس وكما نراه الآن عند القديس يوحنا ذهبي الفم.

---

(٩) ضد الأريوسيين ٣:٢٢.

(١٠) عظة ٢٤ على شرح ١كو ١٠:١٧.

القديس كيرلس الكبير

❖ لكي يوحِّدنا ابن الله بطريقةٍ ما مع الله ومع بعضنا البعض، بل ويمزجنا بعضنا ببعض، على الرغم من كوننا مفترقين في نفوسنا وأجسادنا بسبب الكيان الذاتي لكل واحد منَّا، فقد ابتكر (أو اخترع[١١]) وسيلةً، بحكمته الخاصة وبمشورة الآب؛ فقد بارك المؤمنين به في جسدٍ واحدٍ هو جسده الخاص، وذلك بالتناول السرائري، وجعلهم بذلك جسدًا واحدًا معه ومع بعضهم البعض. فمَنْ يقدر أن يفصل ويفصم من هذا الاتحاد الكياني أولئك الذين ارتبطوا بالوحدة في المسيح بهذا الجسد المقدَّس الواحد؟! لأننا إن كنَّا كلنا «نشترك في الخبز الواحد» (١كو ١٠: ١٧)، فإننا نكون جميعًا جسدًا واحدًا بالتمام، **لأن المسيح لا يمكن أن ينقسم!**[١٢]

في هذا القول تظهر الإفخارستيا أنها سر وحدة الكنيسة إلى أبعد حدٍّ، فهي تنقل إلى الكنيسة صفة من صميم صفات المسيح الإلهية وهي عدم القدرة على الانقسام: [فمَنْ يقدر أن يفصل ويفصم من هذا الاتحاد الكياني أولئك الذين ارتبطوا بالوحدة في المسيح بهذا الجسد المقدَّس الواحد؟!... **لأن المسيح لا يمكن أن ينقسم!**]. فإذا تساءلنا، أو إذا سألنا القديس كيرلس: فكيف إذن تُعلِّل الانقسام الحاصل بين الكنائس؟ يمكن أن يُجيبنا: لأن الكنائس لم تأخذ هذا السر بالجديَّة الكافية فلم تَنَلْ منه كامل قدراته التوحيدية. إنَّ أكثر ما يمنعنا من أن ننال من هذا السر قدراته التوحيديَّة هو أن نُقبل عليه وفي قلوبنا أي ضغينة أو بغضة أو آثار لمشاجرة بين بعضنا البعض. ولذلك رأينا الديداخي تُحذِّر بأشد التحذيرات أن يُقام هذا السر في حضرة اثنين متخاصمين [لئلا تتنجَّس ذبيحتكم!!] (١٤: ٢).

وفي القول التالي يُكرِّر القديس كيرلس نفس الحقيقة، أي أن الإفخارستيا إذا مارسناها بالحق، فهي تنقل إلينا صفة المسيح في عدم القدرة على الانقسام:

❖ مع كوننا منقسمين إلى شخصيات متميِّزة، أعني الشخصية الخاصة لكل واحد منَّا، التي بحسبها يكون الواحد بطرس أو يوحنا، والآخر توما أو متى، لكننا صرنا

---

(١١) الفعل اليوناني المستعمل هنا هو μηχανέω (الذي جاءت منه كلمة ميكانيكا) وهو يعني يخترع آلة أو وسيلة جديدة لم تكن معروفة.

(١٢) القديس كيرلس الكبير، شرح إنجيل يوحنا ١٧: ٢٠و٢١.

جميعًا شركاء في الجسد σύσσωμοι في المسيح، لأننا نغتذي من جسدٍ واحدٍ، ولأننا خُتمنا للوحدة بالروح القدس الواحد. وحيث **إن المسيح غير قابل للانقسام – إذ أنه لا ينقسم بأي حال من الأحوال –** فنحن جميعًا واحد فيه. فإنه بناءً على ذلك قال للآب الذي في السموات: «ليكونوا واحدًا كما نحن واحد» (يو ١٧: ٢٢). يتضح من ذلك أننا في المسيح وفي الروح القدس، نكون جميعًا واحدًا بحسب الجسد وبحسب الروح[١٣].

من الخولاجي المقدَّس

نختم البحث بإلقاء الضوء على بعض صلوات القداس في الخولاجي المقدَّس.

افتتاحية القداس

فأول ما يبدأ القداس يُعلِن الكاهن بصوت جهوري أن من أهم الغايات التي يُقدَّم القداس من أجلها:

❖ **سلامًا وبنيانًا للواحدة الوحيدة المقدَّسة الجامعة الرسولية كنيسة الله**

والسلام هو عكس الخصام، فهو يعني حُسن التوافق بين أعضاء الكنيسة. وهذه من أهم نتائج الإفخارستيا: «فَإِنَّنَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ خُبْزٌ وَاحِدٌ، جَسَدٌ وَاحِدٌ، لأَنَّنَا جَمِيعَنَا نَشْتَرِكُ فِي الْخُبْزِ الْوَاحِدِ» (١كو ١٠:١٧).

ثم يلاحَظ في هذه الصيغة أنه عند ذكره صفات الكنيسة الأربعة التقليدية التي نقولها في قانون الإيمان «واحدة مقدَّسة جامعة رسولية» يُركِّز هنا على الصفة الأولى بالذات فيُكررها بمرادفتين «**الواحدة الوحيدة**» وفي هذا تلميح أيضًا أن من أهم نتائج الإفخارستيا وحدة الواحدة الوحيدة.

أوشية السلام

ويلاحَظ أيضًا في الطلبات التي تُقدَّم خلال القداس أن كل مجموعة من الأواشي (أي الطلبات)، سواء الأواشي الثلاثة الكبار أو مجموعة الأواشي الصغار، تكون الأولى دائمًا مخصصة لسلام الكنيسة. فسلام الكنيسة ووحدتها هما من أهم النتائج المرجوة من إقامة هذا السر.

(١٣) القديس كيرلس الكبير، الحوار الأول في الثالوث الأقدس.

صلاة الصلح

وموضعها قبل البدء في قداس المؤمنين، لأنه إذا كانت الإفخارستيا هي سر وحدة الكنيسة، سر الجسد الواحد والمحبة المتبادلة بين الأعضاء، فمن البَيِّن أنه لا يمكن أن تُقام في جو من الخصام. ولذلك كانت الديداخي تُحذِّر بشدَّة: [لا يشترك في اجتماعكم كل مَنْ كانت له خصومة مع رفيقه **إلَّا بعد أن يتصالحا**]. وهذا الأمر منشؤه أصلًا في وصية المسيح: «فَإِنْ قَدَّمْتَ قُرْبَانَكَ إِلَى الْمَذْبَحِ، وَهُنَاكَ تَذَكَّرْتَ أَنَّ لأَخِيكَ شَيْئًا عَلَيْكَ، فَاتْرُكْ هُنَاكَ قُرْبَانَكَ قُدَّامَ الْمَذْبَحِ، وَاذْهَبْ أَوَّلًا **اصْطَلِحْ** مَعَ أَخِيكَ، وَحِينَئِذٍ تَعَالَ وَقَدِّمْ قُرْبَانَكَ» (مت ٥: ٢٣، ٢٤).

صلاة قبل تقديس القرابين

بينما يُعدِّد الكاهن العطايا التي أُعطيت لنا بتجسُّد الابن الوحيد يقول:

❖ وجعلنا له **شعبًا مجتمعًا** وصيَّرنا أطهارًا بروحك القدوس.

حيث عبارة "شعبًا مجتمعًا" نجدها في الأصل اليوناني للقداس الباسيلي λαὸν περιούσιον[١٤] حيث كلمة περιούσιον تتكوَّن من مقطعين: περι- بمعنى حول و οὐσιον بمعنى كائن أو كيان، فيكون المعنى "شعبًا كائنًا حوله (أو ملتفًّا حوله)" فالرب في الوسط ونحن جميعًا كائنون أو ملتفون حوله. صورة بديعة للكنيسة التي مركزها هو الرب ونحن جميعًا مترابطون بعضنا ببعض وملتفون حوله. والعبارة مقتبسة أصلًا من سفر الخروج من وعد الله لشعب إسرائيل أن يجعلهم له شعبًا περιούσιον (ملتفًّا حوله) إذا حفظوا وصاياه (خر ١٩: ٥)، والوعد تحقَّق في العهد الجديد (انظر: تي ٢: ١٤).

الطلبات بعد تقديس القرابين

بعد أن يتم تقديس القرابين بحلول الروح القدس يبدأ الكاهن تقديم طلبات الشعب للمسيح الكائن معنا على المذبح. وأول هذه الطلبات هي:

❖ اجعلنا مستحقين كلَّنا يا سيدنا أن نتناول من قدساتك تقديسًا لنفوسنا وأجسادنا وأرواحنا، **لكي نكون جسدًا واحدًا وروحًا واحدًا ونجد نصيبًا وميراثًا مع كافة قديسيك الذين أرضوك منذ البدء.**

---

(١٤) القداس الباسيلي، النص اليوناني مع الترجمة العربية، إعداد الراهب إبيفانيوس المقاري، دير أنبا مقار، ٢٠١١، ص ٧٧.

هذه أول وأهم طلبة نرجو أن ننالها من تناولنا من الأسرار المقدَّسة. ويلاحظ فيها البُعد الوحدوي (لكي نكون جسدًا واحدًا وروحًا واحدًا) مع البُعد الأُخروي (نجد نصيبًا وميراثًا مع كافة قديسيك) وهذان البعدان معًا يُشكلان قصد الدهور أي غاية الله النهائية من خلقة الكون كله كما انكشفت لبولس الرسول «إِذْ عَرَّفَنَا بِسِرِّ مَشِيئَتِهِ، حَسَبَ مَسَرَّتِهِ الَّتِي قَصَدَهَا فِي نَفْسِهِ، لِتَدْبِيرِ مِلْءِ الأَزْمِنَةِ، لِيَجْمَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ» (أف ١: ٩-١٠).

وفي نفس الطلبات بعد تقديس القرابين يقول الكاهن:

❖ اذكر يا رب أن ترحمنا كلَّنا معًا.

في هذه الطلبة تظهر روح الترابط والتضامن بين أعضاء الكنيسة. لا يمكن أن يخلُص أحد بمفرده. الأُم في الأسرة لا يمكن أن تُتمِّم خلاصها بدون أن تهتم بخلاص أولادها، وهكذا كل واحد من المؤمنين، بل وحتى الراهب العائش في البرية لا يمكن أن يخلُص بدون أن يحمل همَّ خلاص الآخرين. يقول في ذلك الأنبا أنطونيوس: "**اعلموا أن حياتنا هي من بعضنا البعض**"[١٥]. هذا االقول يزداد وزنه جدًّا حينما نعتبر أنه جاء من مؤسِّس رهبنة التوحُّد.

يقول أحد اللاهوتيين الروس الأرثوذكس البارزين في القرن التاسع عشر: إن الذين يذهبون إلى الجحيم يذهبون كل واحد بمفرده، أما الذين يدخلون الملكوت فيدخلونه بشركتهم بعضهم مع البعض. وهو مُحقٌّ في ذلك لأن الملكوت هو موطن الشركة «أورشليم المبنية مثل مدينة متَّصلة بعضها ببعض»، التي يصفها سفر الرؤيا عدة مرات بأنها وسط زجاجي (رؤ ١٥: ٢ و٢١: ١٨، ٢١)، إشارة إلى الشركة الكائنة بين أعضائها، لأن الزجاج الشفاف هو المادة الصلبة الوحيدة التي فيها كل نقطة ترى جميع النقط الأخرى، فهو كناية عن الشركة الروحية الكاملة.

كلمات القداس تتبادل بين ثلاثة أطراف

أي مشاهد لليتورجية القبطية، سوف يلاحظ وجود ثلاثة أطراف تتبادل كلماته وهم الكاهن، الشماس، الشعب. الكاهن دائمًا صلاته موجَّهة رأسيًّا نحو الله، والشماس يوجِّه

---

(١٥) الأنبا أنطونيوس، رسالة ٦: ٧. والأب متى المسكين يُبيِّن هو أيضًا هذه الحقيقة بالنسبة للراهب: "المسيح في الأربعين المقدَّسة خرج من العالم من أجل العالم، اعتزل التلاميذ من أجل التلاميذ ... والراهب لا يخرج من العالم، حتى وإن بدا له ذلك، بل هو في الحقيقة والواقع يخرج بالعالم إلى الله" (مقال: اختبار الله في حياة الراهب).

كلامه لجموع الشعب (دائمًا بالجمع)، ثم يرد الشعب بالصلاة نحو الله وهي أيضًا تتسم بالرد الجماعي دائمًا، فلا وجودَ لمردَّات من الشعب بصيغة المفرد[١٦].

الخاتمة

كل من يحضر الكنيسة بفردية وانعزال عن الجماعة بدعوى تقوى شخصية لم يدرك بعد معنى سرِّ الكنيسة. فليست الإفخارستيا هي للتقديس الشخصي فحسب بمعزل عن باقي الجماعة، فيلجأ إليها أو يمتنع عنها كلٌّ منَّا، تبعًا لحاجته الروحية التي يُقررها هو بحسب معاييره ومزاجه الخاص، ودرجة استعداده أو عدم استعداده، واضعًا جسد الرب ودمه في خانة الأمور التي يمكن الاستغناء عنها ولو إلى حين! بل هي سر الوحدة، وحدة المؤمنين معًا في النفس والجسد والروح، لأن الكنيسة هي التجسيد المستمر لهذه الوحدة، كما في قول قداس القديس باسيليوس: "اجعلنا كلَّنا يا سيدنا مستحقين أن نتناول من قدساتك تقديسًا لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا، لكي نكون جسدًا واحدًا وروحًا واحدًا". هذه هي غاية الاجتماع الإفخارستي! وهنا القداسة الشخصية ليست هي الغاية في ذاتها، بل هي وسيلة كمال الوحدة بين أعضاء الكنيسة الواحدة، فهبات الله هي للأشخاص من أجل تكميل عمل الكنيسة، وليس من أجل ذواتهم وحدهم بمعزل عن الجماعة[١٧].

نعم هبات الله المعطاة للأفراد هي من أجل تكميل قصد الدهور أي قصد الله من الخليقة كلها: "تدبير ملء الأزمنة: أن يجمع كل شيء في المسيح" (أف ١: ١٠).

عطلة المجلة السنوية شهرا يوليو وأغسطس ٢٠٢٢

(١٦) انظر: الراهب القس أثناسيوس المقاري، القداس الإلهي، سر الملكوت ج٢ من مجموعة طقوس وأسرار وصلوات الكنيسة، القاهرة – الطبعة الأولى ٢٠٠٨، ص ٧٩٤، ٩٢٠.

(١٧) هذه الفقرة مقتبسة من كتاب "القداس الإلهي، سر ملكوت الله"، ج١، للراهب القس أثناسيوس المقاري، الطبعة الأولى ٢٠٠٨، ص ٢٥٣-٢٥٤. ونفس هذه الرؤيا للبعد الكنسي الجماعي لسر الإفخارستيا تجدها مشروحة في كتاب الأب ألكسندر شميمان:

Alexander Schmemann, The Eucharist, Sacrament of the Kingdom, SVSP, 1987, p. 142.

وفي ترجمته العربية: "الإفخارستيا سر الملكوت"، للأب ألكسندر شميمان، ترجمة سامر عبود، منشورات النور، ١٩٩٣ ص ٢١١

من التراث الكنسي

مُرتبطين معًا

الأب أنتوني م. كونيارس[١]

(٩)

عندما نصعد إلى أعلى جبل، نجد أنَّه مِن الصُّعوبة بمكان أنْ يصل واحد بمفرده إلى القمَّة، ولكن يُمكننا أنْ نصعد معًا بأنْ نربط بعضنا ببعض بحبل، والمتقدِّم يصعد أوَّلًا والآخرون يصعدون خلفه، مربوطين به.

وكما لا يُمكنك أنْ تصعد الجبل بدلًا منِّي، ولا يمكنني أنْ أصعده بدلًا منك، لكن علينا نحن الاثنين أنْ نصعد كلٌّ واحد بمفرده، ولكن على أنْ نكون مرتبطين ببعض بقائدنا الرَّب يسوع لنكمل الوصول. الحبال التي تُمكِّننا مِن أنْ نربط أنفسنا بالقائد الرَّب يسوع هي الإيمان، والصَّلاة، والتَّناول.

نحن مُرتبطون ببعض بطرق مختلفة أكثر ممَّا نتوقَّع، فمثلًا لا يكفي أنْ تصلِّي قائلًا: ”يا سيِّد، حصِّني أنا واحمني، أنا وكلُّ ما لي“، لأنَّه يجب على القائد أنْ يحصِّن الآخَرين السَّائرين في الطَّريق أيضًا. فإذا حصلت حادثة ما، بسبب أنَّه قد يسير شخص مُهْمِل في طريق سائق آخَر، فهذا سيشملني أنا وكل ما لي في حادثة خطيرة؛ فنحن كأعضاء في نفس الجسد، يجب علينا أنْ نصلِّي بعضنا لبعض لأنَّنا متداخلون مع بعض.

أساس عبارة ”بعْضُكُم بعْضًا ألليلون ALLELON“ في العهْد الجديد

واحدة مِن الطُّرُق الحيويَّة التي كشف فيها الرَّب يسوع عن قصده من الكنيسة كجسد، كان عن طريق مجموعة مِن الأقوال أعطاها بخصوص مسؤوليَّة الواحد تجاه الآخَر. الجملة: ”بعضكم بعض one another“ كما تُرْجمت مِن الكلمة اليونانيَّة ألليلون allelon

(١) عن كتابه بعنوان:

Anthony M. Coniaris, *The Eye Cannot Say to the Hand "I Have No Need of You"* Light and Life, 2005.

تُزوِّدنا بما يسمِّيه أحدهم: "مبدأ وجود عبارة أللليلون allelon بعضكم بعضًا" في العهد الجديد. هذا المبدأ يزوِّدنا بصورة هائلة بما تعمله الكلمة كونونيا koinonia في العمل في الجسد. إليكَ قائمة من الأقوال: بعضكم بعض أللليلون في العهد الجديد:

«يَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ يَغْسِلَ بَعْضُكُمْ أَرْجُلَ بَعْضٍ» (يو ١٣: ١٤).

«وَصِيَّةً جَدِيدَةً أَنَا أُعْطِيكُمْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا» (يو ١٣: ٣٤).

«وَادِّينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِالْمَحَبَّةِ الأَخَوِيَّةِ» (رو ١٢: ١٠).

«مُقَدِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْكَرَامَةِ» (رو ١٢: ١٠).

«فَلاَ نُحَاكِمْ أَيْضًا بَعْضُنَا بَعْضًا» (رو ١٤: ١٣).

«مُهْتَمِّينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ اهْتِمَامًا وَاحِدًا» (رو ١٢: ١٦).

«وَلْيُعْطِكُمْ ... اهْتِمَامًا وَاحِدًا بعضكم ببعض» (رو ١٥: ٥ حسب الأصل اليوناني).

«فَلْنَعْكُفْ إِذًا عَلَى مَا هُوَ لِلسَّلاَمِ، وَمَا هُوَ لِلْبُنْيَانِ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ» (رو ١٤: ١٩).

«اقْبَلُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا» (رو ١٥: ٧).

«قَادِرُونَ أَنْ يُنْذِرَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا» (رو ١٥: ١٤).

«سَلِّمُوا بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِقُبْلَةٍ مُقَدَّسَةٍ» (رو ١٦: ١٦).

«انْتَظِرُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا» (١كو ١١: ٣٣).

«بَلْ تَهْتَمُّ الأَعْضَاءُ اهْتِمَامًا وَاحِدًا بَعْضُهَا لِبَعْضٍ» (١كو ١٢: ٢٥).

«بِالْمَحَبَّةِ اخْدِمُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا» (غل ٥: ١٣).

«اِحْمِلُوا بَعْضُكُمْ أَثْقَالَ بَعْضٍ» (غل ٦: ٢).

«مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْمَحَبَّةِ» (أف ٤: ٢).

«كُونُوا لُطَفَاءَ بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ» (أف ٤: ٣٢).

«مُكَلِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِمَزَامِيرَ وَتَسَابِيحَ وَأَغَانِيَّ رُوحِيَّةٍ» (أف ٥: ١٩).

«خَاضِعِينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ فِي خَوْفِ اللهِ» (أف ٥: ٢١).

«حَاسِبِينَ بَعْضُكُمُ الْبَعْضَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ» (في ٢: ٣).

«لاَ تَكْذِبُوا بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ» (كو ٣: ٩).

«مُعَلِّمُونَ وَمُنْذِرُونَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا» (كو ٣: ١٦).

«عَزُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا» (١تس ٤: ١٨).

«عَزُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَابْنُوا أَحَدُكُمُ الآخَرَ» (١تس ٥: ١١).
«سَالِمُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا» (١تس ٥: ١٣).
«اتَّبِعُوا الْخَيْرَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ» (١تس ٥: ١٥).
«وَاعِظِينَ بَعْضُنَا بَعْضًا» (عب ١٠: ٢٥).
«لاَ يَذُمَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا» (يع ٤: ١١).
«لاَ يَئِنَّ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ» (يع ٥: ٩).
«اِعْتَرِفُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ بِالزَّلاَتِ» (يع ٥: ١٦).
«صَلُّوا بَعْضُكُمْ لأَجْلِ بَعْضٍ» (يع ٥: ١٦).
«كُونُوا مُضِيفِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا» (١بط ٤: ٩).
«كُونُوا جَمِيعًا خَاضِعِينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ، وَتَسَرْبَلُوا بِالتَّوَاضُعِ» (١بط ٥: ٥).

هذه هي الطَّريقة التي بها أعضاء الجسد تحبُّ وتدعَم وتهتم بعضها ببعض. الكلمة أللليلون في كلِّ واحدة مِن الآيات السَّابقة تُعبِّر عن حقيقة أنَّنا كأعضاء في جسد المسيح الواحد، ننتمي إليه كما أنَّ الواحد منَّا ينتمي إلى الآخَر أيضًا. وبما أنَّنا نحن جميعًا نكوِّن جسدًا واحدًا، فعلينا أنْ نحبَّ وأنْ نحترم وأنْ نعتني الواحد بالآخَر، لأنَّنا أعضاء في جسدنا الواحد: «لَا تَقْدِرُ الْعَيْنُ أَنْ تَقُولَ لِلْيَدِ: لَا حَاجَةَ لِي إِلَيْكِ!» (١كو ١٢: ٢١).

وعلينا أنْ نُدعِّم كلُّ واحد إيمان الآخَر: «فَإِنْ كَانَ أَخُوكَ بِسَبَبِ طَعَامِكَ يُحْزَنُ، فَلَسْتَ تَسْلُكُ بَعْدُ حَسَبَ الْمَحَبَّةِ. لاَ تُهْلِكْ بِطَعَامِكَ ذلِكَ الَّذِي مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِهِ» (رو ١٤: ١٥).

عبَّر القدِّيس كليمندس الرُّوماني St. Clement of Rome في القرن الأوَّل (٩٦م) عن هذا فقال:

> [لماذا النِّزاع، والغضب، والانقسام، والاختلاف، والحروب بينكم؟ أليس إلهنا الذي نعبده إلهًا واحدًا، وأليس مسيحنا مسيحًا واحدًا، وأليس روح النِّعَم والهبات والعطايا الذي فينا واحدًا؟ وأليست دعوتنا في المسيح واحدة؟ فلماذا إذن نُمزِّق ونشق أعضاء المسيح، ونثور ضدَّ جسدنا الواحد، ونندفع نحو مِثل هذا الجنون حتَّى ننسى أنَّنا أعضاء بعضنا لبعض؟][٢]

(٢) رسالة كليمندس الروماني الأولى ٤٦: ٥ – ٧.

عائلتنا الأُخرى

حقيقة أنَّنا أعضاء لجسد المسيح الواحد ستجعلنا نتصرَّف بممتلكاتنا أيضًا بطريقة مختلفة تمامًا، وسوف يظهر هذا بطريقة عمليَّة فعَّالة في سلوكنا وتصرُّفاتنا.

وعلى سبيل المثال، فقد حدث أنْ دعت امرأةٌ كاهنَ كنيستها ليصلِّي لها ويباركها وقت احتضارها، وتكلَّمت معه عن حيرتها بخصوص وصية تِرْكَتِهَا، فسألها الكاهن: "لِمَن تريدين أنْ تتركي ممتلكاتك؟" فأجابته: "أريد أنْ أتركها لأُسرتي"، فسألها: "أيَّةُ أُسرة تقصدين؟"، فأجابته: "وأنتَ ماذا تقصد بسؤالك؟ ليس لديَّ إلاَّ أُسرة واحدة، ابن أخ، وابنة أُخت"، فقال لها الكاهن: "أَلَم تنسِ أحدًا؟ عندما اعتمدتِ باسم المسيح، فالله صار أباكِ، والرَّب يسوع صار أخاكِ الأكبر، وبالتَّالي، فقد صار كلُّ مسيحي وكلُّ مسيحيَّة في العالَم أخاكِ وأُختكِ. أنتِ قد صرتِ عضوًا في عائلة الله، في جسد المسيح؛ ألا تظنِّي أنَّه مِن الواجب أنْ تذكري في وصيَّتك، هذه العائلة الأُخرى التي هي الكنيسة؟"

إذ أُخِذَت المرأة بهذا الكلام قالت: "لم أُفكِّر أبدًا في الموضوع بهذه الطَّريقة؟"
كم فرد منَّا يعمل مثلما فعلت تلكَ المرأة؟

مِن الأمور المحيِّرة التي يعملها الإنسان المسيحي هو أنْ يترك ميراثه: "بِتِرْكَة وثنيَّة"، بدون أنْ يعترف أنَّه ينتسب عمليًّا للمسيح، لنفس الجسد، الكنيسة، والآخَرين. كأعضاء في جسد المسيح، نحن لنا أكثر مِن عائلة واحدة محدودة بالنَسَب الجسدي.

كلُّ واحد يشعر بألم الآخَر

يقول القدِّيس بولس: «إِنْ كَانَ عُضْوٌ وَاحِدٌ يَتَأَلَّمُ، فَجَمِيعُ الأَعْضَاءِ تَتَأَلَّمُ مَعَهُ» (١كو١٢: ٢٦). يُشير أفلاطون Plato إلى هذا بقوله، إنَّه إنْ تألَّم أصبع في يدنا، فنحن لا نقول: "أصبعي يُؤلمني"، بل نقول: "أنا أتألَّم". في كلِّ واحدٍ منَّا يوجد كيان يُعطي الوحدة لكلِّ أجزاء الجسم المختلفة والمتعدِّدَة، ولذلك، فإنَّ كلَّ التهاب، كلَّ ألم ضئيل في أي عضو مهما كان صغيرًا، فإنَّ المركز العصبي فينا يشعر به. كتب الأب ألكسندر إلشانينوف Fr. Alexander Elchaninov بخصوص ذلك فقال:

"قيل عن الكنيسة: «إِنْ كَانَ عُضْوٌ وَاحِدٌ يَتَأَلَّمُ، فَجَمِيعُ الأَعْضَاءِ تَتَأَلَّمُ مَعَهُ» (١كو١٢: ٢٦)، فإذا لم نشعر بهذا الألم المشترك، فنحن لسنا في الكنيسة".

تتميَّز كنيسة المسيح بنفس النَّوع مِن الحساسيَّة، وكلّ أذى أو ألم في أيِّ عضو منها، تشعر به بقيَّة الأعضاء. أليس هذا هو جوهر الأغابي agape، الحب؟

شعر الأب سمعان اللاهوتي الجديد Fr. Symeon the New Theologian بهذا الإحساس القوي حتى إنَّه كتب يقول:

"أعرف إنسانًا كان يريد بحرارة شديدة خلاص كُلّ إخوته حتى إنَّه كان يتوسَّل إلى الله بدموع حارقة ومِن كلّ قلبه، إمَّا أنْ يخلصوا معه، أو أن يدان هو معهم، لأنَّه كان مُرتبطًا في الرُّوح القُدُس برباط المحبَّة هذا، حتى إنَّه لم يشأ أنْ يدخل ملكوت السَّموات إنْ كان هذا سيفصله عنهم".

كم أحسَّ هذا الأب بكلمات بولس الرَّسول: «إِنْ كَانَ عُضْوٌ وَاحِدٌ يَتَأَلَّمُ، فَجَمِيعُ الأَعْضَاءِ تَتَأَلَّمُ مَعَهُ».

لهذا السَّبب، فإنَّ كنيسة المسيح كانت دائمًا تضع في أولويَّات خدماتها أنْ تساعد المتألمين وأنْ تلطِّف الآلام والأوجاع. إنَّ أوَّل مأْوى للعميان أسَّسه راهب مسيحي يُدْعى ثالاسيوس Thalasius، وأوَّل مستوصف مجَّاني أسَّسه أبولونيوس Apollonius التَّاجر المسيحي، وأوَّل مُستشفى عُرِف أسَّسته فابيولا Fabiola المسيحيَّة.

أثناء اضطهاد داكيوس Decius المريع في روما، كان هناك جمعٌ كبير مِن الأرامل، واليتامى، والعميان، والمشلولين، وحشد مِن المرضى بأمراضٍ مُخْتلفة تقوم الكنيسة برعايتهم. وقد حدث أنْ هجم الوالي الوثني على الكنيسة وطلب مِن المسؤولين عن الجماعة أنْ يُسلِّموا الجواهر والممتلكات التي لديهم للسُّلطات. أشار الشَّماس لورينتيوس Laurentius إلى الجمع الموجود مِن الفقراء والمرضى والمقعدين والذين ليس لهم عائل وقال: "هؤلاء هم جواهر الكنيسة وثروتها".

الكُلُّ لأجل خدمة الواحد

إنْ حدثت إصابة في يدك، فإنَّ ملايين مِن كرات الدَّم البيضاء تندفع مِن خلال تيَّار الدَّم نحو الجرح المفتوح ويضحُّون بحياتهم وهم يحاربون الميكروبات المهاجمة. ولو حدث أنْ تأذَّى أصغر إصبع في القدم، فإنَّ العين تنظر إليه للحال، وتقوم باقي الأصابع بمَسك هذا الإصبع، والوجه يتجهَّم، وينحني كلُّ الجسم نحوه، ويهتم الكلُّ ويَنشغل لأجل هذا العضو

الصَّغير؛ وعندما يتمُّ شفاؤه، فإنَّ كلَّ أعضاء الجسم الأُخرى تفرح. إذا ما أُصيب عضوٌ صغيرٌ في الجسد، فإنَّ كلَّ الأجزاء في الجسم تندفع للمساعدة، لأنَّ الجسد واحد. وإنْ حدث أنْ أصيبت العين بالعَمَى، فإنَّ أعضاء الجسم الأُخرى تتعامل لتعوِّض فقدان البصر.

كَمْ هي صورة جميلة تبيِّن لنا كيف أنَّ الله يريد منَّا أنْ نشعر بآلام الآخَرين، وأنْ نهتم حتَّى بأصغر وأقلِّ عضوٍ غير ظاهر في جسد المسيح: "الإخوة الأصاغر":«إِنْ كَانَ عُضْوٌ وَاحِدٌ يَتَأَلَّمُ، فَجَمِيعُ الأَعْضَاءِ تَتَأَلَّمُ مَعَهُ». إنْ كنَّا لا نشارك في آلام أعضاء الجسم الصَّغيرة تلك التي تعاني وتتألَّم، التي هي: "الأصغر في الإخوة"، فنحن حقًّا لا نكون في الجسد، وهذه علامة على أنَّنا قد فصلنا أنفسنا عن الجسد.

إذا لُمِس عصب صغير، فهو يسجِّل ألمًا في المخ؛ وحيث أنَّ الرَّب يسوع هو رأس الجسد، أَمَا سيشعر بألم كلِّ عضو في جسده؟ ربَّما يكون هذا هو السَّبب في قوله: «كنتُ جوعانًا فأطعمتموني، كنتُ مريضًا فزرتموني، محبوسًا فأتيتم إليَّ» (مت٢٥: ٣٥و٣٦).

الشُّعور بألم الفقير

نحن مدعوُّون لنرى المسيح في كلِّ فقير، بل أيضًا لنشعُر بآلام جوع الفقير. يكتب القدِّيس يوحنا ذهبي الفم بهذا الخصوص فيقول:

[أتُريد أنْ تُكرم جسد المسيح؟ فلا تحتقره وتزدري به في عريه، ولا تكرمه هنا في الكنيسة في الثياب الحريريَّة في الخدمة، بينما تهمله في الخارج وهو عريان وبردان... ما هو النَّافع أنْ تملأ مائدة المسيح باستخدام أصنافٍ مِن كؤوسٍ ذهبيَّة بينما هو نفسه، يموت مِن الجوع؟ أوَّلًا، أَطعمه عندما يكون جائعًا، وبعد ذلك استخدم ما تريده لتزيين المائدة... افعل هذا أيضًا للمسيح عندما يأتي كغريب في الطَّريق يبحث عن مأوى. أنتَ لا تَقْبل أنْ تأخذه كضيف عندك، في الوقت الذي أنتَ تُزيِّن أرضيَّة بيتك والحوائط وتيجان الأعمدة... مرَّة أُخرى أقول: أنا لا أمنعك مِن أنْ تقوم بهذه الزِّينة، ولكنَّني أحثُّك أنْ تقوم بعمل الأشياء الأُخرى أيضًا، وبصراحة أنْ تُعطيها الأولويَّة. لا تزيِّن الكنيسة وتتجاهل جيرانك المتألِّمين، لأنَّهم هياكل أثمن مِن كلِّ الهياكل].

(عظة ٨٨: ٥٠ على إنجيل متى)

غَيْر مميِّزين الجسد

نقْرأ في (١كو١١: ٢٩): «لأنَّ الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غيْر مميِّز جسد الرَّب». هل بحثتَ ودقَّقْتَ لتنظر معنى: «غَيْرَ مُمَيِّزٍ جَسَدَ الرَّبِّ»؟ لنعرف هذا، علينا أنْ نرجع إلى كنيسة كورنثوس في الوقت الذي كتب فيه بولس هذه العبارة. كان المعتاد في ذلك الزَّمان أنْ تقام وليمة محبَّة قبْل ممارسة عشاء الرَّب. كان مِن المفترض أنَّ كلَّ مؤمن يضع الطَّعام الذي يُحضره معه على مائدة مُشتركة يتشارك فيها الجميع بالتَّساوي، وكانت هذه المائدة مِثل ما نسمِّيه: "على ما قُسِم pot-luck"، أي على غير تجهيز خاص. ولكن ما كان يحدث في كورنثوس أنْ كان الأغنياء وأصدقاءهم يجلسون معًا ويتناولون طعامهم الفاخر الذي أحضروه، بينما كان الفقراء الذين في وسطهم يذهبون بلا طعام. كانوا يجلسون جائعين وهم يتطلَّعون إلى الأغنياء وهم يأكلون، فكانوا لا يتشاركون في المائدة. الأكل والشُّرب بهذه الطريقة الجائرة نتج عنه ما قيل: «غَيْرَ مُمَيِّزٍ جَسَدَ الرَّبِّ»، وهذا لا يُشير فقط إلى جسد الرَّب الذي كان يُكْسَر لأجلنا، ولكن أيضًا إلى جسده: "الكنيسة": «الْخُبْزُ الَّذِي نَكْسِرُهُ، أَلَيْسَ هُوَ شَرِكَةَ جَسَدِ الْمَسِيحِ؟ فَإِنَّنَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ خُبْزٌ وَاحِدٌ، جَسَدٌ وَاحِدٌ، لأَنَّنَا جَمِيعَنَا نَشْتَرِكُ فِي الْخُبْزِ الْوَاحِدِ One Bread (١كو١٠: ١٦، ١٧)». نحن نأكل ونشرب بدون استحقاق عندما نفشل في أنْ نميِّز، وأنْ نتحقَّق مِن أنَّ الفقير، والضَّعيف، والجائع، والمتألِّم الذين ينتسبون للمسيح، ينتسبون أيضًا إلينا، لأنَّهم أعضاء معنا في جسده المقدَّس، ممَّا يجعلنا مُلتزمين أنْ نشاركهم عطايانا. من أهم ما يجعلنا غير مستحقِّين أنْ نقترب مِن كأْس الرَّب هو رفضنا أنْ نميِّز الجسد، فلا نشعر بجوع وألَم أعضاء الجسد الأُخرى، ولا نتجاوب بالمحبَّة. **(يتبع)**

****

دير القديس أنبا مقار

بتصريح سابق من الأب متى المسكين بالإعلان عن مشروع معونة الأيتام والفقراء (مشروع الملاك ميخائيل)، حيث يعول هذا المشروع منذ عام ٢٠٠٠ أكثر من ألفين من العائلات المُعدمة، يمكن تقديم التقدمات في رقم الحساب الآتي:

00211300000153

دير القديس أنبا مقار

بنك كريدي أجريكول مصر. فرع الميرغني

ادخل إلى العمق

الطريق والرفيق

«أَيْضًا إِذَا سِرْتُ فِي وَادِي ظِلِّ الْمَوْتِ لاَ أَخَافُ شَرًّا، لأَنَّكَ أَنْتَ مَعِي» (مز ٢٣: ٤)

المسيح هو الطريق :

عندما يفكّر الإنسان في السير نحو هدفٍ ما، فمن اللازم له أن يكون مدركًا لأمرين هامين وهما: الطريق الذي يسير فيه، والمرافق أو المرشِد في هذا الطريق. والإنسان الروحي الذي وضعَ يده على المحراث، وحدَّد هدفه صوب أورشليم السمائية، لابد وأن يكون قد أدركَ أهمية هذين الأمرين، ووضحت له الرؤية والقرار في كلا الأمرين.

فعندما تكلَّم يسوع مع تلاميذه، وحدَّثهم عن المكان المزمع أن يذهب إليه عند الآب ليُعدَّ لهم منازل، سأل توما الرسول معلّمه بقوله: «يَا سَيِّدُ، لَسْنَا نَعْلَمُ أَيْنَ تَذْهَبُ، فَكَيْفَ نَقْدِرُ أَنْ نَعْرِفَ الطَّرِيقَ ؟»، فقال له يسوع: «أنا هو الطريق والحق والحياة» (يو١٤: ٥،٦). والإجابة هنا واضحة عن الطريق، وهي أن المسيح نفسه هو الطريق، لأن ليس بأحدٍ غيره الخلاص، ولا يقدِر أحدٌ أن يأتي إلى الآب إلَّا به، وهو الذي به ومنه وله كل الأشياء، بل وكل مقدَّرات حياتنا، وأكثر من ذلك،لأنه حقَّق بتجسده الوحدة بيننا وبين الآب. فهو واحد مع الآب وفي نفس الوقت متحد بنا، وبذلك صار مثل "حلقة وصل" بين البشرية والله.

وهكذا يتضح لنا، أن التحرك نحو الآب ونحو الميراث السمائي الذي ننشده، إنما يكون مع المسيح نفسه، وعبر الطريق الذي كرَّسه لنا بدمه، وبالإيمان به والتسليم التام له، بل والاتحاد الكامل به، من خلال شركة الجسد والدم الأقدسين.

ولكن ماذا عن رفيق الطريق؟

يؤكِّد لنا الكتاب المقدس أهمية الرفيق في رحلة الحياة ومسيرتها، ويدعم ضرورة وجوده ومعرفته والالتصاق به، لأن في ذلك الأمر أمانٌ وضمانٌ للوصول، وحمايةٌ لنا من

أخطار الطريق ومصاعبه، وتفاديًا لسقطاتٍ ومعاثِرَ كثيرة، ربما تواجهُنا بسبب اعتمادنا على أنفسنا في السير في الطريق بلا رفيق، أو بسبب محاربات أعدائنا وشراستهم – سواء الظاهرين منهم أو الخفيين – المتربِّصين بنا، مثلما يحذِّرنا آباؤنا القديسون منهم دائمًا.

ويعرِض لنا الكتاب المقدس مثالين واضحين لشخصيتين في التاريخ المقدس، تباينت مسيرتهما، من حيث بعض المعايير الهامة في الحياة، مثل: رفيق الطريق، وهدف الطريق والمسيرة، وأخيرًا الطموح والاختيار. أمَّا هذان الرجلان فهما: لوط، وابراهيم.

أولاً: من حيث: رفيق المسيرة (رفيق الطريق):

١ - لوط:

يحدِّثنا الوحي الإلهي عن الرفيق الذي كان مع لوط بالقول: «وَلُوطٌ السَّائِرُ مَعَ أَبْرَامَ...» (تك ١٣: ٥)، بينما يعبِّر عن رفيق الطريق لآخرين، مثل أخنوخ و نوح، بتعبير آخر، إذ يقول: «وَسَارَ أَخْنُوخُ مَعَ اللهِ وَلَمْ يُوجَدْ لأَنَّ اللهَ أَخَذَهُ» (تك ٥: ٢٤)، وعن نوح يقول الوحي: «... كَانَ نُوحٌ رَجُلًا بَارًّا كَامِلًا فِي أَجْيَالِهِ وَسَارَ نُوحٌ مَعَ اللهِ» (تك ٦: ٩).

ففي مسيرة لوط، كان الرفيق الأول له إنسانًا، ومع كون هذا الإنسان بارًّا وكاملًا أمام الله، مثل إبراهيم، إلَّا إنه لا يمكن أن يكون بديلًا لله، لأنه مكتوبٌ: ملعونٌ كل من يتَّكل على ذراع بشرٍ، ويتهاون في السير مع الله (انظر: إر ١٧:٥). ويستحيل على أي شخصٍ أو شيء أو قوة أو مال، أن تعوِّض أو تُغني الإنسان عن وجود الله نفسه، فالله كفيل أن يحقِّق سلامة الإنسان ونجاحه ويُكمِّل شِبَعه وفرحَه الكامل، بل هو وحده من يضمن الحياة الآمنة وإكمال مسيرة حياة الإنسان حتى النهاية، وذلك حسب قول المرنِّم: «اَلرَّبُّ رَاعِيَّ فَلاَ يُعْوِزُنِي شَيْءٌ. فِي مَرَاعٍ خُضْرٍ يُرْبِضُنِي. إِلَى مِيَاهِ الرَّاحَةِ يُورِدُنِي. يَرُدُّ نَفْسِي يَهْدِينِي إِلَى سُبُلِ الْبِرِّ مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ» (مز ٢٣: ١ -٣)، وعن بني اسرائيل يقول الكتاب: «الرَّبَّ إِلهَكُمْ سَائِرٌ مَعَكُمْ» (تث ٢٠: ٤)، وأيضًا: «أَسِيرُ بَيْنَهُمْ، وَأَكُونُ لَهُمْ إِلهًا» (٢كو٦: ١٦). وكذلك: «وَكَانَ الرَّبُّ يَسِيرُ أَمَامَهُمْ» (خر ١٣: ٢١)، وهكذا صار الله نورًا لكل من يسير معه، فلا يعثر في الطريق، بل يكون له نور الحياة: «أَسِيرَ قُدَّامَ اللهِ فِي نُورِ» (مز ٥٦: ١٣).

فمسيرة لوط، كما هو واضحٌ، قد أغفلت وجود الله والاتكال عليه، ومرافقته في طريق الغُربة، واستبدلت هذه الرفقة الإلهية برفقة إنسان، لذلك خابت مسيرته، وضرب نفسه بأوجاعٍ كثيرة.

٢ - إبراهيم:

ولكن على عكس ذلك، سلك إبراهيم كما سلك من قبله أخنوخ ونوح، فقد جعل الله رفيقًا لمسيرته، يتقدمه في كل أمرٍ، ويتبارك بعشرته، ويستضيء بنور معرفته وإرشاده حسب قول داود المرنِّم: «جَعَلْتُ الرَّبَّ أَمَامِي فِي كُلِّ حِينٍ، لأَنَّهُ عَنْ يَمِينِي فَلاَ أَتَزَعْزَعُ (مز ١٦: ٨). ودعاه الرب "إبراهيم خليلي" وصار صديقًا له، حتى إن الوحي الإلهي يقول عن ذلك: «... هَلْ أُخْفِيَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ مَا أَنَا فَاعِلُهُ» (تك ١٨: ١٧)، لقد اختار إبراهيم الرفيق والصديق الحقيقي والصحيح، القادر أن يهبه السلام والأمان والفرح والبركة، حتى إنه قد أنجَزَ له أعظم المواعيد: «بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ» (تك ٢١: ١٢) وذلك بعد أن شاخ وشارف على الموت، لأن الله أمين وصادق ورفيق ومعينٌ في الضيق. وهكذا أيضًا على مثال إبراهيم، اختارت مريم أخت لعازر النصيب الصالح الذي لن يُنزَع منها.

لقد نجح إبراهيم، ليس فقط لأنه سلك بمشورة الرب وهدايته في مسيرة حياته، وذلك كقول المزمور: «طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي لَمْ يَسْلُكْ فِي مَشُورَةِ الأَشْرَارِ ... لكِنْ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ مَسَرَّتُهُ وَفِي نَامُوسِهِ يَلْهَجُ نَهَارًا وَلَيْلًا، فَيَكُونُ كَشَجَرَةٍ مَغْرُوسَةٍ عِنْدَ مَجَارِي الْمِيَاهِ، الَّتِي تُعْطِي ثَمَرَهَا فِي أَوَانِهِ» (مز ١: ١ -٣)، بل نجح بالأكثر لأنه جعل الربَّ أمامه، ورفيقًا له كل الطريق، فتبارَك به وصار هو نفسه بركة لآخرين، حسب قول الكتاب: «إِنَّ الرَّبَّ الَّذِي سِرْتُ أَمَامَهُ يُرْسِلُ مَلاَكَهُ مَعَكَ وَيُنْجِحُ طَرِيقَكَ» (تك٢٤: ٤٠).

ثانيًا : من حيث: هدف المسيرة (هدف الطريق) :

١ - لوط:

قيل عن لوط إنه رفع عينيه ونظر، حينئذٍ تطلَّع واشتهى، لأنه نظر الأرض (سدوم وعمورة) أرض الشر والخطية، فرآها كجنة الله كأرض مصر (تك ١٣: ١٠)، فحصدَ خرابًا ودمارًا وحرقًا وخسر كل شيء. لقد نظر واختار حسب الجسد، فحصد موتًا وحزنًا، وهكذا كل من وُلِد من الجسد ونظر بعينيِّ الجسد وإرادته، وبمفهوم العالم وأطماعه؛ فلن يجني سوى التراب والألم. وقديمًا نظرت حواء ثم آدم إلى الثمرة المحرَّمة واشتهياها، فسقطا كليهما، وجلبا على نفسيهما العار والموت. لأن كل ما في العالم هو شهوة العيون، وشهوة الجسد، وتعظُّم المعيشة، وهذه كلها ليست من الله. وعندما يشغلنا العالم عن هدف مسيرتنا وغاية

دعوتنا، فلا بد أننا سوف نتوه ونخسر ونسقط ونحزن، لأن الحاجة هي إلى واحد.

لوط كان بارًّا، وهذا أمرٌ نسبي، فقد كان ذلك بالنسبة لأهل سدوم وعمورة الأشرار، ولكن حينما ضاع منه الهدف واختل نظره وتشوشت رؤيته، اكتوى هو أيضًا بشرِّهم بسبب معاشرته لهم، وسكناه في وسطهم- حسب اختياره- ففقد كل شيء بسبب وقوفه في مجمع الأشرار والمستهزئين، كما يقول المزمور.

٢ - إبراهيم:

أمَّا إبراهيم فقد كان ينظر إلى ما لا يُرى بعين الإيمان، بثقة كاملة في الرب الذي دعاه، حتى يخرج من أرضه وعشيرته، إلى أرضٍ لا يعلمها لكي يرثَها، وبنفس هذه الرؤية الإيمانية الواضحة، أبصر عن بُعد يوم الخلاص الآتي، فرأى وآمن وفرح. إبراهيم لم يرفع عينيه لينظر، لأنه كان شبعانًا بإلهه، ولا احتاج إلى شيء أو اختيار آخر غيره. لذلك أراه الرب بنفسه كل الأرض، شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبًا، واختارها له ميراثًا، فالله هو الذي نظرَ واختار، أمَّا إبراهيم، فكان فرِحًا بالرب، واعتبر أن الله نفسه هو ميراثه الحقيقي، لذلك أعطاه الرب ما لم يطلبه، ووهبه أرض الموعد له ولنسله من بعده، وهذا هو ما يجب علينا فعله دائمًا، كقول الرب يسوع: «لكِنِ اطْلُبُوا أَوَّلًا مَلَكُوتَ اللهِ وَبِرَّهُ، وَهذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ» (مت ٦: ٣٣).

ثالثًا: من حيث:الاختيار الروحي:

١ - لوط:

يذكر لنا الكتاب المقدس أن لوطًا لم يُعطِ الرب حقه في أي اختيار في حياته، بل كان هو القائم بهذا الأمر بنفسه دائمًا، لذلك كانت المعاناة هي ثمرة كل اختياراته، فالمنظور الذي كان يملكه لوط في الاختيار، كان منظورًا جسدانيًّا زمنيًّا، تحكمه رؤية العينين والميول الجسدية، ويفتقد كل رؤية إيمانية أو شِبع روحي، أو اكتفاء بالرب كنصيب ورفيق وميراث له. فكما اختار لنفسه الزوجة، اختار الأرضَ المخصِبة، واختار الأصهار وغيرهم، فهو لم يدعَ الله يختار له شيئًا، لذلك حينما تكلَّم مع أزواج بناته وأصهاره حتى يهربوا معه من حريق سدوم وعمورة، كان كمازحٍ بينهم، وناله منهم هُزءًا وتحقيرًا كثيرين، إضافة لما كان يلقاه ويتعذَّب بسببه من سلوك وشرور أهل هاتَين المدينتَين (٢بط ٢: ٨)، وأخيرًا ما

حصده في النهاية، بفقده كل شيء، حتى امرأته التي صارت عامود ملح، وبالكاد نجا هو وابنتاه فقط من الدمار.

كل ذلك كان بسبب إنه لم يترك لله دور الاختيار، فيما يخصُّ مسيرة حياته واحتياجاته، لضعف إيمانه.

٢ - إبراهيم:

ولكن إبراهيم، الذي عاش بروح الإيمان، فقد أدركَ أنه غريب ونزيل على هذه الأرض (عب ١١: ١٣)، ورغم إنه عاش في أرض الموعد الأرضية، إلَّا إنه عاش بروح الاغتراب، تاركًا كل أمور حياته بيد الله الذي يعوله منذ دعوته الأولى، وتطلَّع إلى الأرض الجديدة والسماء الجديدة، التي يحيا فيها مع الله إلى الأبد، لذلك، ورغم كل غناه الذي وهبه له الله، فقد عاش غريبًا في خيمة (عب ١١: ٩)، منتظرًا على الرجاء أن يرث الميراث السمائي العتيد الذي لا يفنى، وكان لسان حاله يهتف دائمًا: «الرَّبُّ نَصِيبُ قِسْمَتِي وَكَأْسِي» (مز ١٦: ٥).

فَعيْنُ الإيمان تجعلنا نتجاوز كل الأمور الأرضية، وكل المشاحنات على ميراث الأرض وخيراتها المؤقَّتة، ونتغاضى وننبذ كل عداوة أو عائق يحول بيننا وبين ميراث الحياة الأبدية، وعين الإيمان تجعلنا، كإبراهيم، نصبِر ونحتمل ونشكر ونترك ونبارك، من أجل الوعد الصادق لنا بالعشرة والسكنى مع الله الحيِّ، تاركين له الاختيار في كل أمور حياتنا، غير مهتمين أن نستوفي خيراتنا على الأرض، بل يكفينا أن يرافقنا في مسيرة حياتنا كل الأيام حتى نصل إلى الميناء، ونلتقي وجه الحبيب بسلام.

صدر حديثًا

كتاب

أمجاد الأجداد

قصص مستوحاة من العهد القديم

إصدار دار مجلة مرقس

من القيامة
إلى الصعود
إلى يوم الخمسين

الْمَسِيحُ بَاكُورَةٌ، ثُمَّ الَّذِينَ لِلْمَسِيحِ

(١كو١٥: ٢٣)

❀ ❀ ❀

عندما دخل بنو إسرائيل إلى الأرض وحصدوا الحصيد، كان عليهم أن يأتوا بحزمة الترديد[١]، وهي أول الحصيد، إلى الكاهن (لا ٢٣: ٩ – ١١). حزمة أول الحصيد ترمز إلى الرب المُقام من بين الأموات والصاعد إلى الآب (يو٢٠: ١٧)، باكورة الحصاد الذي تأتي به "حبة الحنطة" إذ ماتت لتأتِيَ بثمر كثير (يو ١٢: ٢٤).

وفي يوم الخمسين كان عليهم أن يُقدِّموا «خُبْزَ تَرْدِيدٍ، رَغِيفَيْنِ مِنْ دَقِيق، بَاكُورَةً لِلرَّبِّ» (لا٢٣: ١٧). لكن قد سبق وقرأنا أنَّ حزمة الترديد كانت هي الباكورة، فكيف يكون هذان الرغيفان المخبوزان باكورة؟ إنَّ شعب المسيح المقام لهم نفس الحياة التي له الآن، وهم شركاء طبيعته وشركاء مركزه وعلاقته بالآب. رغيفا الخبز، المُقدَّمان للرب في يوم الخمسين، يرمزان إلى الكنيسة التي تكوَّنت في يوم حلول الروح القدس، والتي تتكوَّن من عنصرين هما: اليهود والأمم. اليهود نراهم يدخلون في يوم الخمسين (أعمال ٢)، والأمم في حلول الروح القدس على الأمم «كَمَا لَنَا أَيْضًا (لليهود) بِالسَّوِيَّةِ» (أع ١١: ١٧). والرسول بولس في الرسالة إلى المؤمنين في رومية يقول إنَّ النعمة أُعطيت له من الله «حَتَّى أَكُونَ خَادِمًا لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لأَجْلِ الأُمَمِ، مُبَاشِرًا لإِنْجِيلِ اللهِ كَكَاهِنٍ، لِيَكُونَ **قُرْبَانُ الأُمَمِ** مَقْبُولًا مُقَدَّسًا **بِالرُّوحِ الْقُدُسِ**» (رو ١٥: ١٦)، ففي هذه العبارة الأخيرة نجد الارتباط واضحًا بين «قُرْبَانُ الأُمَمِ» الذي كان يُشير إليه "رغيفا الترديد" والذي قدَّمه الرب للآب بصعوده ببني البشر حيث «**أعطاهم قربانًا لأبيه**»[٢]، وبين حلول الروح القدس في يوم الخمسين.

---

(١) كلمة ترديد تينوفاه תְּנוּפָה: من مصدر نوف נוּף (الذي يعني هزَّ أو حرَّك ذهابًا وإيابًا) وهي من الكلمة العربية نَعَفَ: مَا انْحَدَرَ مِنْ الْجَبَلِ وَارْتَفَعَ عَنْ مُنْحَدَر الْوَادِي، هُوَ مَا انْحَدَر عَنِ السَّفْح وغَلَظ وَكَانَ فِيهِ صُعود وهُبوط (لسان العرب).

(٢) صلاة قسمة عيد القيامة والخمسين المقدَّسة.

لكن حينما نتقدَّم في العهد الجديد لا نجد بعدُ رغيفَين، بل رغيفًا واحدًا «فَإِنَّنَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ خُبْزٌ وَاحِدٌ، جَسَدٌ وَاحِدٌ، لأَنَّنَا جَمِيعَنَا نَشْتَرِكُ فِي الْخُبْزِ الْوَاحِدِ» (١كو ١٠: ١٧)؛ تعبيرًا عن وحدة الكنيسة. إذًا، فإن حزمة أول الحصيد والتي ترمز إلى المسيح المُقام، قد قُدِّمت أمام الآب، وقد قُبِلَ له المجد هناك. وقد تغلَّبت وحدته على الثنائية الموجودة في مكوِّنات الكنيسة.

لقد مَلك الموت على الإنسان، لكن وُجد شخصٌ لم يكن للموت سلطانٌ عليه، لكنه دخل إلى الموت، ثم قام «المسيح من بين الأموات، وصار باكورة الراقدين» (١كو ١٥: ٢٠). والذين رقدوا في المسيح هم باكورات الحصاد الأخرى، لقد قال الرب: «إِنْ لَمْ تَقَعْ حَبَّةُ الْحِنْطَةِ فِي الأَرْضِ وَتَمُتْ فَهِيَ تَبْقَى وَحْدَهَا. وَلكِنْ إِنْ مَاتَتْ تَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ» (يو ١٢: ٢٤).

أتى الروح القدس يوم الخمسين لكي يُكوِّن الكنيسة[٣] ويقدِّمها أمام الله في كل قبول ذلك الشخص المبارك وعمله، الذي مجَّد الله الآب تمامًا بموته والذي أقامه الله من الموت، وأجلسه عن يمينه في المجد و«جَعَلَهُ رَأْسًا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ، الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ، مِلْءُ الَّذِي يَمْلأُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ» (أف ١: ٢٢ – ٢٣).

في العهد القديم، كان الروح القدس يَحلّ على أشخاص، لأداء وإنجاز مهَام خاصّة معيَّنة، مكوِّنًا علاقة وظيفية معهم، لكنه لم يسكن فيهم. فشمشون كان «روح الرب يُحرِّكه» (قض ١٣: ٢٥) «وَحَلَّ عَلَيْهِ» (قض ١٤: ١٩)، فقتل بلحي حمار ألف رجل (قض ١٥: ١٦). كانت فيه قوة خارجية جبَّارة ولكن هشاشة في الداخل، فعندما ألحَّت الخطيئة عليه سقط. فلا نجد للروح القدس **مُستقرًّا** في العهد القديم «لَمْ تَجِدِ الحَمَامَةُ **مَقَرًّا** لِرِجْلِهَا، فَرَجَعَتْ إِلَيْهِ إِلَى الفُلْكِ» (تك ٨: ٩). لم يجد الروح القدس على الأرض، الشخص الذي يُمكنه أن يستقرَّ عليه، إلى أن جاء الذي قيل عنه «الَّذِي تَرَى الرُّوحَ نَازِلًا **وَمُسْتَقِرًّا** عَلَيْهِ، فَهذَا هُوَ الَّذِي يُعَمِّدُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ» (يو ١: ٣٣). كما أنَّ عمل الفداء لم يكن قد تمَّ بعد «الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أُعْطِيَ بَعدُ، لأَنَّ يَسُوعَ لَم يَكُن قَدْ مُجِّدَ بَعْدُ» (يو ٧: ٣٩).

لكن لمَّا أتى الرَّب يسوع إلى أرضنا، انفتحت له السماء، «وَنَزَلَ عَلَيْهِ الرُّوحُ الْقُدُسُ بِهَيْئَةٍ جِسْمِيَّةٍ مِثلِ حَمَامَةٍ» (لو ٣: ٢١ – ٢٢). وهذا ما عبَّر عنه الكتاب «أَتَتْ إِلَيْهِ

(٣) الكنيسة ككائن حي (organism) وليست كمؤسسة (organization).

الْحَمَامَةُ عِنْدَ الْمَسَاءِ، وَإِذَا وَرَقَةُ زَيْتُونٍ خَضْرَاءُ فِي فَمِهَا» (تك ٨: ١١). فبعد أن تمَّم عمل الفداء على الصليب، أعلن الروح القدس أنَّ الدينونة قد انتهت والحياة قد ظهرت، وأنَّ هناك **سلامًا** قد صُنِعَ بموت ربنا يسوع المسيح، وذلك على أساس الكفارة، وهذا ما عبَّرت عنه ورقة الزيتون الخضراء.

نزل الروح القدس يوم الخمسين[٤]، ليُعلن أن هناك شخصًا قد تمجَّد بالجسد واستقر في السماء. وبتعبير سفر التكوين "واستقرَّ الْفُلْكُ عَلَى جِبَالِ أَرَارَاطَ" (تك ٨: ٤)، ومِن هناك مِن قمة المجد، أُرسل الروح القدس ليشهد عن المسيح الموجود عن يمين العظمة في الأعالي، أنَّ عَمَله قد تمَّ، ومنذ ذلك الحين سكنَ الروح القدس واستقرَّ على قديسي العهد الجديد. فسُكنى الروح صارت الآن علاقة انطولوجية معنا، أي أنه يُغيِّر في ذات كياننا، يجعل كياننا يندمج مع روح الله، فيمتلئ المؤمن بالروح ليُنتج ثمرًا داخليًّا كيانيًّا، ليس ماذا فعلتُ وأنتجتُ وحققتُ في خدمة الرَّب، لكن ماذا أكون أنا who am I.

الحياة التي كانت في حبَّة الحنطة أتت بثمرٍ كجنسه؛ حيوات أبديَّة في قديسيه. الحياة الأبدية كنوعية حياة، هي حياة الله ذاته، إنها ليست حياةً من الله، إنها حياة الله لنا في ابنه، «اللهَ أَعْطَانَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَهذِهِ الْحَيَاةُ هِيَ **فِي ابْنِهِ**» (١يو ٥: ١١)، وليست فقط منه. فطابع حياة المسيح فينا أن نستقبل نحن، من الآن، الآب والابن والروح القدس (يو ١٤: ٢٣؛ ١كو ٣: ١٦) ونتمتع بالشركة والحب العميق الجاري بينهم. هذه هي العلاقة الجديدة للقديسين مع بعضهم ومع السيد كأهل بيت الله (أف ٢: ١٩)، وهو البكر من الأموات، فـ«الْمُقَدِّسَ وَالْمُقَدَّسِينَ جَمِيعَهُمْ مِنْ وَاحِدٍ فَلِهذَا السَّبَبِ لَا يَسْتَحِي أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِخْوَةً» (عب ٢: ١١)، فكوننا أصبحنا "من واحد" مع الرب يسوع، هذا هو الأساس الوحيد الذي مكَّن المسيح ألَّا يستحي بأن يدعونا إخوة.

الروح القدس رباط وحدتنا في المسيح

فأن نصبح جسد المسيح لا بد أن يكون لنا ذات حياته. فحياة الرأس لا بد أن تكون في الجسد، وحياة الجسد هي من الرأس. ثمّ إنَّ الآب لم يجد للمسيح معينًا نظيره سوى

---

(٤) كان اليهود يعتقدون أنَّ يوم الخمسين يوافق يوم إعطاء الله الناموس لموسى على جبل سيناء حيث تكلَّم الرب معه. لكن ما أبعد الفارق بين يوم إعطاء الشريعة في يوم الخمسين على الجبل حيث مات ٣٠٠٠ شخص (خر ٣٢: ٢٨) ويوم نزول الروح القدس يوم الخمسين حيث آمنت ٣٠٠٠ نفس (أع ٢: ٤١).

الكنيسة[٥]، والمسيح لم يجد لذَّاته فينا فحسبْ (كما كان يجد مع إبراهيم)، ولكن أفكاره وجدت من يفهمها ويستوعبها «أَمَّا نَحْنُ فَلَنَا فِكْرُ الْمَسِيحِ» (١كو٢: ١٦)، ويحاول أن يطيعها طاعة كاملة. كما أن عواطفه ومحبته وجدت مُسْتَقَرًا لها في قلوبنا، بل تعلَّمت قلوبنا كيف تعزف صدى حبه سجودًا ساميًا يرقى إلى حياة أبدية. كل هذا بفضل الحياة الأبدية التي وُعد بها للمسيح في الأزل (تي١: ٢)، وأُظهرت بالتجسُّد (١يو١: ٢)، وأَثمرت بالموت (يو١٢: ٢٤)، وأُعلنت في الإنجيل، ووُرِّثت لنا بالقيامة، إلى أن سكنت واستقرَّت في قلوبنا في يوم الخمسين.

إنَّ نبع المحبة الذي لا ينضُب ظَهَرَ هناك خارج أسوار أورشليم حيث صُلب ربنا؛ هناك في الصليب كُسِر قلب ابن الله؛ وفاضت المحبة الإلهية وغمَرَ عبيرها كل الكون. وهذا هو برهان محبة الله لنا: الصليب، وليس عطاياه الزمنية أو الروحية. ليتنا نُنمِّي علاقتنا الحميمية مع شخصه، ونخلق روابط روحية بعضنا مع بعض.

أخي، الله من الأزل وإلى الأبد محبة، ومحبته لا تتأثر بسلبياتنا. فالناس تُحبنا لِما نحن عليه؛ ربما لعطائنا أو مَرَحنا أو رقتنا أو مركزنا أو ... وأمَّا المحبة الإلهية فلا تتوقف علينا، ونحن لا نُؤثِّر فيها. إنَّ ضمان محبة الله هو في طبيعته غير المتغيرة. لذلك إنَّ أفضل ما لدينا من أشعار وأجمل ما أوتينا من أفكار، لتسبيح الرب وحمده، ما هي إلَّا صدًى ضئيلٌ لِما قدَّمه لنا.

والآن بعد أن مضى زمن الرموز والذبائح وجاء زمن الساجدين الحقيقيين، ليس مطلوبًا منَّا أقل من أن نقدِّم المسيح للآب. الآب يريدنا أن نُردِّد أمامه الابن ترديدًا، ليس بجميل العبارات في الاجتماعات، بل بإظهار جماله فينا وسط احتكاكات الحياة. نُردِّده أي نستعرضه في سلوكنا ومشاعرنا وأفكارنا. نُردِّده أي يراه الآب فينا في صمتنا وفي كلامنا، في أعمالنا وفي بيوتنا، في محبتنا لبعض وفي احتكاكنا ببعض. يراه في حياتنا، ثم يراه في أحاديثنا عنه مع الآخرين، أي في شهادتنا عنه؛ ثم أخيرًا يراه في شكرنا وعبادتنا.

عندما قام المسيح من الموت بَرْهَنَ لتلاميذه حقيقةَ قيامتِهِ، فرأوه وسمعوه ولمسوه وصدَّقوا أنه قام. وقبيل الصعود نفخ وأعطاهم الروح القدس لينالوا قوة قيامته كعربون

---

(٥) يُقال عن الكنيسة إنَّها نازلة «من عند الله ἀπὸ τοῦ θεοῦ» (رؤ ٢١: ٢ و١٠)؛ وعبارة "من عند الله" قيلت عن المسيح أيضًا، إنه خرج «من عند الله ἀπὸ τοῦ θεοῦ» (يو ١٣: ٣).

لانسكاب روحه بعد صعوده (يو ٢٠: ٢٢). فكما أنَّ القيامة مع المسيح عربون الصعود معه كذلك قبول نفخة الروح القدس هو عربون حلوله وسكناه وملئه الدائم المستمر المستقر في الكنيسة جسد المسيح.

أخي، إنَّ رؤيتنا لموقف الله من الخطيئة في الصليب، لا بدَّ أن تملأ قلوبنا بالبُغضة لها وتقودنا لحياة القداسة. ورؤيتنا لمحبة الله التي استُعلنت لنا في الصليب في بذل ابنه عنا، تدفعنا للتكريس له «لِيَعِيشَ الأَحْيَاءُ فِيمَا بَعْدُ لاَ لأَنْفُسِهِمْ، بَلْ لِلَّذِي مَاتَ لأَجْلِهِمْ وَقَامَ» (٢كو ٥: ١٥). وإدراكنا لمحبة المسيح للكنيسة، تجعل الأزواج يحبون زوجاتهم ببذل نفوسهم عنهن (أف ٥: ٢٥). وفهمنا لمعاملات الآب المُحب الحكيم معنا، ترشدنا لكيفية تربية أولادنا بالمحبة. وفهمنا لحقيقة العالم، تقودنا للانفصال عنه ولاشتهاء الحياة الأبدية. وبكل ذلك نستطيع أن "نردِّد" ذبيحة المسيح أمام الآب في حياتنا. وهكذا فقد توفَّر لنا الآن أفضل بلا قياس مما كان متوفرًا لمؤمني العهد القديم.

✠✠✠

✠✠✠✠(**أقوال خالدة عن الروح القدس**)✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠✠

✞ الروح القدس بسيط غاية البساطة، يُلبِّي دعوة الإنسان في الحال إذا كانت بإخلاص وإيمان وبساطة.

✞ إن كان المسيح تجسَّد فلكي يُصلَب، وإن كان قد صُلِب فلكي يقوم، وإن كان قام فلكي يصعد، وإن كان قد صعد فلكي يُرسِل الروح القدس.

✞ الملء بالروح هو احتلال الروح لكل الكيان ليصير كيان الإنسان كيانًا لله، جسدًا للمسيح.

✞ الروح القدس يغشانا ولا يُلاشينا. يملأنا ويظل مستترًا فينا. يتشخص فينا بنفسه ولا يُظهِر إلَّا شخصنا. ينطق فينا جهارًا ولا يُسمَع إلَّا صوتنا. يُرافقنا كل لحظة ولا نُرى إلَّا وحدنا. يهبنا معرفة كل الحق وكأننا نعرف من أنفسنا. يحرِّر نفوسنا من قيود الدنيا وكأننا تحررنا بجهدنا.

✞ الروح القدس لا يُحوِّل الإنسان إلى روح محض ولا يلغي المادة، وإنما يجدِّد نظرتنا، ويُعدِّل غايتنا، ويُحوِّل طريقنا من المستوى المادي المحض إلى المستوى الروحي في استخدام غرائزنا ومواهبنا وعواطفنا.

عن كتاب "أقوال خالدة للأب متى المسكين" ص ١٠٨ – ١٠٩